g



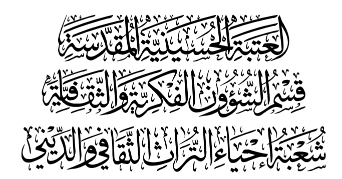
مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda
رقم تصنيف LC:	
المؤلف الشخصي:	
العنوان:	
بيان المسؤولية:	
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٩هـ= ٢٠١٨م
الوصف المادي:	[١٣٤] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية (). شعبة التراث الثقافي والديني ()
تبصرة ببليوغرافية:	
مصطلح موضوعي:	
مصطلح موضوعي:	
مصطلح موضوعي:	
مصطلح موضوعي:	
مصطلح موضوعي:	
مؤلف اضافي:	

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

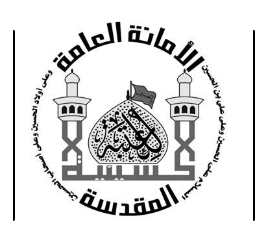
السيّد عبد الجواد الكليدار رحمه الله



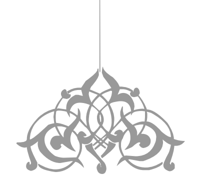
طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com



مقدمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الحمد لله الذي وفقنا لطاعته في حفظ تراث أهل العلم وطبعه ونشره، والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد المصطفى وآله الكرام.

دأبت شعبة التراث الثقافي والديني على البحث والتفتيش عن كل ما صدر لعلماء هذه المدينة المقدسة في الزمن الغابر، وطبعه وتوزيعه على بعض الجهات العلمية والاحتفاظ بما تبقى ليكون مثالاً يحتذى به، وهذا الجهد الذي تقوم به الشعبة في قسم الشؤون الفكرية يراد منه الأمور التالية:

١. الحفاظ على تراث العلماء الماضين.

٢. اطلاع القارئ الكريم على نشاط النخب العلمية والثقافية في الماضي، ليتسنى له تقيم ثقافة المجتمع آنذاك.

٣. ربط الأجيال الحاضرة من العلماء والمثقفين بالأجيال السابقة من خلال هذه النافذة.

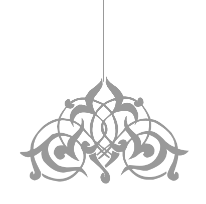
٤.الاستفادة العلمية والثقافية.

٥.الإحاطة بالمشاكل التي كانت تواجه المجتمع آنذاك ومعرفة حلولها لاستفادة من هذه الحلول عند تكرارها مرة أخرى.

٦.معرفة أسماء العلماء والمثقفين والإطلاع على أحوالهم ونشاطاتهم وعطائهم للإقتداء بهم.

وغير ذلك من الأمور التي نأمل أن يحققه هذا النشاط من قبل شعبة التراث الثقافي والديني في قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

رئيس القسم - الشيخ علي الفتلاوي



بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

اسمه ونسبه

هو المرحوم الدكتور السيد عبد الجواد بن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار بن السيد حسن بن السيد سليمان بن السيد درويش بن السيد أحمد بن السيد يحيى بن السيد خليفة نقيب الاشراف بن السيد نعمة الله بن السيد طعمة(الثالث) بن علم الدين بن طعمة(الثاني) بن شرف الدين بن طعمة كمال الدين(الاول) بن أبي جعفر أحمد بن ضياء الدين يحيى بن ابي جعفر بن أحمد بن ابي الفائز محمد بن علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن ابي جعفر محمد بن علي الغريق بن ابي جعفر محمد الملقب خير العمال بن علي المجدور بن أحمد بن محمد الحائري بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى بن جعفر عليهما السلام.

الأسرة

نشأ في أسـرة السادة آل طعمـة المتفرعـة مـن قبيلـة آل فـائز أقـدم الأسر العلوية التي قطنت كربلاء منذ سنة ٢٤٧ هجرية وذلك على عهد جـدها الأقـدم الـسيد ابـراهيم المجـاب، وترعـرع في بيـت عـرف بـالعلم والمعرفة، وتميز فيه غير واحـد مـن أفـراده، فقـد كـان والـده الـسيد علـي سادناً للروضة الحسينية، وأخوه السيد عبد الحسين سادناً وعالماً ضـليعاً، طويل الباع في علم التاريخ،ورد ذكره في كثير من المصنفات.

ولادته ونشأته

ولد الدكتور الكليـدار في كـربلاء عـام ١٨٩٠ م / ١٣٠٧هـ، نما وترعرع في كنف عائلة محافظة تعنى بـالعلم والأدب، فأُدخـل بعـد وفـاة والده إلى المدرسـة الرشـدية بكـربلاء وكـان عمـره ثمـاني سـنوات، ثم أتم دراسته في بغداد، ولدى زيارة الـسردار أسـعد وزيـر حربيـة ايـران لمدينـة كربلاء، وهو من أصدقاء آل الكليدار، أصـطحب الـسيد جـواد معـه الى ايران حيث درس الفارسية في دار العلوم، وبعدها شدَّ الرحال إلى فرنسا حيـث درس القـانون والـسياسة في جامعـة الـسوربون ومدرسـة العلـوم السياسية في باريس، ومن ثم توَّجه إلى بروكـسل عاصـمة بلجيكـا، فعـاد

وهو يحمل شهادة «الدكتوراه في الحقوق وليسانس في العلوم السياسية»، ثم عاد الى بغداد سنة ١٩٢٨ م، ورُشح للتدريس في كلية الحقوق ولكنه رفض هذا الترشيح خلال وزارة توفيق السويدي التي تألفت في ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٩م، واستقالت في ١٨ ايلول سنة ١٩٢٩ م، وعُيّن الاستاذ محمد القشطيني للتدريس في كلية الحقوق بدلاً من الدكتور عبد الجواد نفسه، وفي سنة ١٩٣٣ م أصدر جريدة باسم الاحرار في مدينة بغداد صدر منها (٣٦) عدداً، وأخذ يواصل عمله في صحيفته مرّة، وناشراً دروسه وموجهاً بعلومه شباب أمته مرة أخرى،وعلى اثر نشر مقال خطير تحت عنوان (أمر دبّر بليل) كتبه السيد أحمد جمال الدين، عُطِلّت الجريدة وأُلقي القبض على صاحبها وأُغرم ٥٠ ديناراً بعد أن أجريت محاكمته وتوقيفه لبضعة أشهر ثم أُطلق سراحه، وكان تعطيل الجريدة بقرار من وزارة الداخلية ثم أُلغي امتيازها عند حدوث انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ م.

وفي سنة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م زاول التدريس في متوسطة كربلاء، ثم تولى التدريس في مدرسة الكاظمية المتوسطة سنة ١٩٤٦م - ١٩٤٩م، وهكذا حمل على عاتقه عبئاً ثقيلاً وقام به خير قيام. واخيراً استقال لينصرف الى مزاولة اعماله الخاصة وكتاباته وتآليفه.

ثقافته

كان الدكتور عبد الجواد على جانب كبير من الثقافة الاسلامية، يطالع بنهم الكتب على اختلاف الوانها، ويحسن الى جانب لغته العربية، اللغة الفرنسية والانكليزية والفارسية وكان في كلامه يتسلح بالآيات القرآنية وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، كما كان ذا ذكاء حاد وادراك عميق، وله في سلوكه وتعامله أسلوب مشرق وتسامح اسلامي سليم.

قرأت كتابه (تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام) وقد حرصت على قراءته واستمتعت به، فكان يرسل مقالاته الى مجلة (رسالة الشرق) الكربلائية بيدي، التي يصدرها الاديب الشاعر السيد صدر الدين الحكيم الشهرستاني ١٩٥٤ وكنت اطالعها فزادتني اقتراباً منه وبقيت أطالع مقالاته التاريخية والاسلامية التي ينشرها في مجلات النجف كالاعتدال والغري والبيان ولواء الوحدة الاسلامية وغيرها، وأُعجبت بأسلوبه وصرت أزوره بين حين وآخر، وكان يتملكني الخجل وأنا أجلس إزاء عالم وأستاذ جليل ومؤرخ فاضل، اختار العلم طريقاً والسمع سبيلاً ونهجاً حتى اللحظات الاخيرة من حياته.

آثاره

قام بأعمال كثيرة وهي تشير الى علو همته ووفرة نشاطه وسعيه المشكور في قيامها، فلم يكن الدكتور عبد الجواد من الرعيل الاول من المؤرخين العراقيين فحسب، بل استطاع خلال فترة زمنية أن يسجل بصمات واضحة في صفحات التاريخ الاسلامي بمقالاته وبحوثه وآثاره المطبوعة والمخطوطة. وغني عن البيان أن آثاره تدل على كونه عالماً محققاً، واسع الاطلاع، لا يلقي الكلام على عواهنه. ومن أبرز آثاره هي:

تاريخ كربلاء وحائر الحسين عليه السلام

الطبعة الاولى (بغداد، مطبعة المعارف ١٣٦٨هـ ثم أعيد طبعه في المطبعة الحيدرية بالنجف الاشرف (١٣٨٦هـ/١٩٦٧م)،وفي سنة ١٩٩٣م صُور الكتاب في القاهرة (مدبولي الصغير) عن الطبعة الاولى للكتاب، ثم أعيد تصوير الطبعة الثانية ضمن منشورات الشريف الرضي في قم- ايران.

معالم أنساب الطالبيين في شرح كتاب «سرّ الانساب العلوية» (الطبعة الاولى في ايران –قم، عام ٢٠٠١،منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي)

جغرافية كربلاء القديمة وبقاعها (طبعته شعبة إحياء التراث)

سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام (مخطوط)

تاريخ كربلاء العام (مخطوط)

كربلاء وتاريخ عمرانها (وهو الكتاب الذي بين يديك)

كربلاء مدينة الاسلام الخالدة (مخطوط)

هاشم وعبد شمس (مخطوط)

أميّة في الجاهلية والاسلام (مخطوط)

ابن طباطبا والدولة العلوية في الشرق(مخطوط)

يوم السقيفة وغداتها في التاريخ(مخطوط)

الشيعة وفتحها الدول النسطورية في آسيا الوسطى(مخطوط)

الامام جعفر الصادق (عليه السلام) حياته وسيرته (مخطوط)

فلسفة الحكومات وحقوق الشعب السياسية (مخطوط)

نظام النقود في انكلترا (مخطوط)

حالته الاجتماعية

ورث عبد الجواد المكانة الجليلة عن والده بما يتمتع به من صفات

كريمة وكياسة تليق به، فقد كان يتحلى بأخلاق حميدة ومزايا طيبة، اقترن بكريمة ابن عمه السيد مرتضى السيد أحمد آل طعمة رئيس خدمة الروضة الحسينية ولم ينجب منها، وكان يحب السفر الى أوربا والبلاد الاسلامية وأغلب سفراته مع زوجته.

شعره

الدكتور عبد الجواد شاعر يمتلك موهبة وله بصماته الواضحة واليد الطولى في هذا الفن، ولكنه مُقّل في النظم، فقد كتب عدّة قصائد تنم عن روح شعرية وثّابة تامة البناء من حيث اللفظ والمعنى والوزن. وقد عثرت على قصيدتين له إحداها تقريض كتاب (زيد الشهيد) لمؤلفه سماحة العلامة السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي يقول فيها:

ذا السفر في زيد الشهيد لقد صدر	فامتاز في أبحاثه بين السير
فنراه قد أوفى المرام فإنه	يغنيك في التاريخ من أصل الخبر
وقد انبرى يحكي لزيدٍ سيرة	فكأنه المرأة قد عكست صور
أبدى الحقائق في أمورٍ فذةٍ	لولاه قد طُمست ولن يبقى أثر

وثاني القصيدتين في رثاء ابن عمه السيد مرتضى السيد أحمد آل طعمة (السرخدمة) المتوفى يوم ٢٤ جمادي الثاني سنة ١٣٦٥هـ الموافق

٢٦ مايس ١٩٤٦م وهي لا تخلو من العواطف والاحاسيس، والشاعر هنا يستدر الدموع من المآقي ويصعد أنفاسه فيقول:

جَدّ الردى من هاشم عرنينها ... وأستلَّ منها سمعها وعيونها

وأصاب مهجتها وكدّر صفوها ... حتى أصاب مَعينَها ومُعينها

وأباد فيلقها وشتت شملها ... واحتل منها مجدها وحصونها

مكتبته

أسسها في داره سنة ١٩٣٦م وتضم ٢٠٠٠ كتاباً ونيف، وفيها نفائس حسنة من المخطوطات العربية وهي مبوبة تبويباً جيداً، كما احتوت على الصحف والمجلات القديمة، أما موضوعاتها فهي القانون والتاريخ والفقه والفلسفة والدين وغيرها، إضافة الى الكتب الفرنسية والفارسية.

رسائله

للدكتور عبد الجواد اتصالات واسعة مع رجال الفضل والعلم والأدب، وكانت ترده رسائل كثيرة أيام صدور جريدته (الاحرار) سنة ١٩٣٣م فيجيب عليها، وقد عثرت في بعض مجاميعه على رسائل لها طابعها الفني وقيمتها الادبية والتاريخية، ومنها رسالة من آية الله الشيخ

محمد حسين كاشف الغطاء، ومن آية الله الشيخ عبد الحسين الاميني صاحب موسوعة الغدير، ومن الشيخ عبد الرسول كاشف الغطاء، ومن الاستاذ توفيق الفكيكي وغيرهم، كما كانت تجري بينه وبين أعلام بعلبك تحرير الرسائل ومنهم محمد قاسم آل مرتضى، وبينه وبين أعلام حلب ومنهم محمد سعيد دحدوح، وكان هؤلاء يجلّون قدره ويكبرون أدبه، وأهم ما يميز هذه الرسائل استعماله السجع وهي الطريقة التي كان يكتب الناس قديماً في العراق والاقطار العربية.

آراء المؤلفين فيه

ذكره جمع من المؤرخين منهم:

خير الدين الزركلي في موسوعته (الأعلام) ج٣ص٢٧٦ فقال:(الطعمة (١٣٠٧-١٣٧٩هـ= ١٨٩٠-١٩٥٩م) عبد الجواد بن علي الكليدار الطعمة الدكتور من المشتغلين بالتاريخ، من أهل كربلاء، أقام وتوفي ببغداد، شارك في الصحافة وأصدر جريدة (الأحرار) وصنَّف: تاريخ كربلاء والحائر.).

العلامة السيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي في كتابه(أحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة) ط٢ص٢٩٤ قائلاً: (وممن ألَّف في تاريخ كربلاء المشرَّفة صاحبنا الكاتب القدير والمؤرخ النحرير

السيد عبد الجواد أخو السيد عبد الحسين المتقدم ذكره قدس سره بن السيد علي آل طعمة، كان رحمه الله من احبائنا يزورنا في أغلب الاوقات وقد قرَّضنا كتابه تاريخ كربلاء، وقد طُبع مرتين الاولى سنة ١٣٦٨هـ، والثانية في النجف سنة ١٣٨٦هـ، وعندنا الطبعة الاولى أهداها المؤلف إلى مكتبتنا، والطبعة الثانية أهداها إلينا ابن عم المؤلف السيد الأجل السيد سلمان آل طعمة، وكتابه هذا يدل على تبحره التام واطلاعه الكامل وتتبعه الكثير، وكان يحمل نفساً أبيّة وروحاً طيبة واخلاقاً فاضلة كآبائه الغر الكرام، توفي ببغداد سنة ١٣٧٩هـ ونُقل إلى كربلاء المشرَّفة ودُفن في مقبرة والده في الروضة العباسية.).

بسام عبد الوهاب الجابي في كتابه (معجم الأعلام) المطبوع في قبرص سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م في الصفحة ٣٨٧ فقال: (عبد الجواد بن علي الكليدار الطعمة الدكتور (١٣٠٧- ١٣٧٩هـ)=(١٨٩٠-١٩٥٩م) من المشتغلين بالتاريخ من أهل كربلاء).

عبد الحميد التحافي صاحب جريدة (الوطن) البغدادية في كتابه (آل طعمة في التاريخ) المطبوع سنة ١٩٦٨م ببغداد في ص١٩: (الدكتور السيد عبد الجواد بن السيد علي الكليدار بن السيد جواد الكليدار بن السيد حسن بن السيد سليمان بن السيد درويش آل طعمة المولود سنة

١٨٩٠م، والمتوفى يوم ٢١ شعبان ١٣٧٩هـ المصادف ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٩م، مؤرخ فاضل وقانوني بارع وصحفي قدير له مركز مرموق، امتاز بدقة أبحاثه وله أسلوب خاص يجمع بين الرقة والمتانة ورصانة القول، أصدر كتابه النفيس (تاريخ كربلاء) وهو بحث علمي تحليلي واسع عن الحائر الحسيني وتاريخه في اللغة والتاريخ والفقه والحديث وتاريخ عمارته وهدمه من الصدر الأول إلى العصر الحاضر. كما أصدر في بغداد جريدة(الاحرار) سنة ١٩٣٣م هاجم فيها كثيراً من الأوضاع الفاسدة آنذاك، وله آثار مخطوطة لم تطبع بعد، أهمها: تاريخ كربلاء العام، كربلاء وتاريخ عمرانها، كربلاء مدينة الاسلام الخالدة، سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وغيرها.)

السيد عبد الرزاق الحسني المؤرخ العراقي الشهير في كتابه (تاريخ الصحافة العراقية) ص٨٢ فقال: (الأحرار: جريدة يومية سياسية حرة أنشاها في بغداد الدكتور عبد الجواد الكربلائي فعارضت الوزارة الكيلانية القائمة معارضة شديدة أدت إلى تعطيلها شهراً كاملاً ثم تعطيلها مرى ثانية لمدة ستة أشهر وحبس صاحبها الدكتور وتغريمه، وكان صدور أول عدد منها في العاشر من ايلول ١٩٣٣م وعلى الرغم من الكوارث التي نزلت بالجريدة وبصاحبها فإنها لم تغير خطتها ولم تثن

عن معارضتها).

الأديب غالب الناهي في كتابه (دراسات أدبية) المطبوع في كربلاء سنة ١٩٦٠م،ج٢ص٦٦ ذكر جانب من نشأته وسيرته.

الأديب نور الدين الشاهرودي في كتابه (تاريخ الأسر العلمية في كربلاء)ص٢١٩: (ومن بين ما أنجبته الأسرة من كتّاب ومؤرخين الدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة صاحب كتاب تاريخ كربلاء).

الأديب الفاضل الشيخ أحمد الحائري في كتابه (أعلام من كربلاء).

العلامة المحقق السيد محمد حسين الجلالي الحائري في كتابه فهرس التراث ج٣ ص١٦٤ مدحه وذكر مآثره.

العلامة الحجة الشيخ محمد حسين الاعلمي الحائري في كتابه منار الهدى ص٣٠٣.

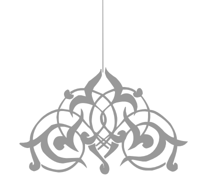
وفاته

ليس بمقدور الانسان أن يدرك مقدار خسارتنا لهذا المؤرخ الفذ الذي فقدته كربلاء خاصة والعالم الاسلامي عامة، وقد إنتقل الى رحاب الله ورضوانه مساء يوم ٢١شعبان سنة ١٣٧٨هـ الموافق ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٩م فلبّى نداء ربه بالسكتة القلبية في داره الكائنة في رأس القرية

إحدى محلات بغداد الرئيسية في الجانب الشرقي والقريبة من شارع الرشيد، ونقل جثمانه الى مسقط رأسه-كربلاء- وشُيع بقلوب جازعة وعيون دامعة الى مثواه الاخير حيث دفن مع والده في مقبرته بالروضة العباسية المقدسة. فما أحوجنا اليوم الى كوكبة من أمثاله يقودون عجلة التاريخ على الصعيد العلمي والإنساني.

أخيراً، أسأل الله تعالى ان يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لخدمة تراثنا العلمي العربي والاسلامي، وأن يحشرنا مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الغر الميامين صلوات الله عليهم أجمعين، إنه سميع الدعاء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شعبة إحياء التراث الثقافي والديني



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

كنّا قد عقدنا النيّة منذ امدٍ غير بعيد على كتابة فصلٍ عن كربلاء وتاريخ عمرانها ومعالمها الحاضرة، ومع ما تتمتع به هذه المدينة المقدسة من الشهرة العالميّة بين الأمم والشعوب تكاد لا تجد في العصر الحاضر إلا القليل ممن تطرقوا الى تاريخها ووصف عمرانها ومعالمها الدينية والسياسيّة اللهم إلا من طرفٍ خفي ضمن تلك المآساة التاريخية المفجعة التي كانت كربلاء ساحة عرضٍ لها منذ ألف وثلثمائة عام أو أكثر بقليل.

والحالة ان كربلاء وان كانت تستمد الروح والحياة والبقاء من تلك الفاجعة الأليمة الخالدة التي أنعمت عليها هذا الشأن فأصبحت بها مركزاً دينيّا عاماً في العالم الإسلامي منذ الصدر الأول، غير أن حياة كربلاء، وعمرانها ومعالمها الخاصة كمدينة مهمة وما طرأت عليها خلال القرون

والعصور المختلفة من الإنقلابات العنيفة أو التطورات الحادثة كانت في ذاتها تتطلب الشيء الكثير من العناية والاهتمام في تنسيق تاريخها ودراسة أدوارها من هذه الناحية.

وقد حاول البعض في الآونة الأخيرة أن يخصصّوها بدراسة خاصة ويُفردوا لها تاريخاً يشمل وصف ما كانت عليه كربلاء منذ عصرها الأول، ثم ما طرأت عليها من التغييرات والتبدّلات الهامّة الكثيرة على مرّ العصور والأعوام في مختلف نواحيها العمرانية والاجتماعيّة والسياسيّة والعلميّة غير ان قلة المصادر التاريخيّة القديمة بهذا الصدد لإشباع مثل هذا المشروع الواسع النطاق عصراً بعد عصر، مضافاً الى هذه القلّة، تشتت المصادر نفسها في كثير من مختلف الكتب الموجودة وغير الموجودة بالفعل من جهةٍ، ثم عدم حصر جهدهم في إستقصاءِ دراسة عصرٍ من عصورها، أو على الأقل إستظهار ناحيةٍ وافيةً من نواحي تاريخها الكثيرة على قدر الإمكان والمستطاع هدّد مشروعهم منذ البداية بالفشل، أو على أقل تقدير كما هو المفروض، أَخّر ظهور مثل هذا المشروع إلى عالم المطبوعات إلى أجلٍ غير معلوم من أزمنة الإمكان.

وهذا مما يأسف له الكثيرون من ذوي الرغبة والعلاقة من الطبقات المثقفّة في مختلف الأقطار الاسلاميّة لحرمانهم المُزمِن المستمر من الإطّلاع

الواسع على تاريخ لكربلاء يبحث بصورةٍ مفصّلة، أو إجماليّة على الأقل، عن معالمها الماضية والحاضرة نظراً لما لهذه المدينة المقدسة بين المدن – كما لا يخفى – من الأهميّة التاريخيّة والدينيّة في العالم الاسلامي.

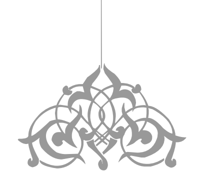
وكلمّا كنا نفكر في هذا المشروع لسدّ هذا الفراغ الموجود كنا نجد الإقدام عليه محفوفاً ببعض الصعوبات لنفس الاسباب والعوامل المتقدمّة، وعلى الأخص فيما لو يكون الغرض إشباع الموضوع درساً وتمحيصاً لإعطاء حقه من البحث الشامل منذ الصدر الأول. وهذا أمرٌ قد يصعب الوصول اليه ولا يتأتى– على ما نعتقد– في الوقت الحاضر لعدم توفّر الوسائل اللازمة لمثل هذا الأمر. على أننا مع ذلك لم نقطع الأمل منه نهائياً، إذ لا نقول باستحالته أو عدم إمكان البلوغ إليه، وقد يكون من الممكن أن تتذلّل الصعوبات ويتيسّر ذلك في المستقبل القريب أو البعيد فيُسّد به فراغ في التاريخ كان يجب ان يُسدّ قبل هذا من زمنٍ بعيد.

وقد إرتسمنا لأنفسنا خطةً محدودة لدرس الموضوع بحصره في حقبةٍ معينّة من الزمن لا تتعدى الجيل الواحد ضمن نطاق نصف قرنٍ بالتقريب، أيّ من مستهل القرن العشرين الى الوقت الحاضر. وقد نستميح القراء على هذا التعبير، إذ كان من الأنسب فيما يخص التاريخ

الاسلامي ان نقول" في مستهل القرن الرابع عشر" وهـو القـرن الهجـري الحاضر الذي نحن بـصدده الآن. غـير أن ذلـك كـان مـن الممكـن أن يـثير الشبهة فيؤديّ في الظاهر الى الإلتباس مع القـرن الرابـع عـشر المـيلادي، والاختلاف بين الحالين – كما يلاحظ – لـيس بقليـل فيبلـغ سـتّة قـرون تقريباً. وهذا ما أردنا أن نتجنبّه في تسمية الكتاب ليكون القصد واضـحاً وبعيداً عن الإلتباس. والله هو الموفق

كربلاء - ١٣٦٨هـ

عبد الجواد علي الكليدار آل طعمة



كربلاء في عام ٣٦ من الهجرة ونزول أمير المؤمنين بها في طريقه إلى صفّين

وبعد هذه المرحلة أيضاً نجد ذكر كربلاء يلعب دوراً مهمّاً على مسرح التاريخ بأربعة وعشرين عاماً من بعد فتحها على يد خالد بن الوليد. فيمّر بها أمير المؤمنين عليه السلام في سنة ٣٦ من الهجرة فينزل بها ردحاً من الزمن فيراها ويرى معالمها الدارسة وما يحيط بهذه البقعة العتيدة من كربٍ وبلاء، فتعيد ذكرياتها المؤلمة في تلك النفسيّة العظيمة ثورةً قويّة من جديد تتمثّل أمامها الرزايا الآتية بأجلى المظاهر والصور.

وكان عليه السلام – على ما يحدثّنا التاريخ – في طريقه هذه المرّة الى صفّين لإخضاع معاوية، لأن معاوية كان والياً على الشام من زمن أبي بكر، كان قد شقّ عصا الطاعة على إمام زمانه لخروج

الملك من يد الأمويّين وإنتقال الخلافة الإسلاميّة الى العلويّين من بعد مقتل عثمان بن عفان.

فخرج الإمام عليه السلام من الكوفة لحربه في خمسين ألفاً من المقاتلين متجهاً نحو شمالي العراق يريد الشام، حتى إذا إتّجه نحو الغرب وقطع الجزيرة الفراتيّة عرضاً فعبر الفرات إلى أن إقترب من الرقّة.

وفي سهل صِفّين غربي الرقّة إلتقى الفريقان وبدأ القتال بين طلائع الجيش ثم توقف. فطلب الإمام من معاوية بن أبي سفيان أن يبايعه فرفض. وأخذت فرق الجيش تتحارب مدّة شهر. وكان القتال في شهر ذي الحجّة سنة ٣٦هـ = ٦٥٧م.

فلما حلّ محرّم سنة ٣٧هـ عقدت هِدنة بين الفريقين وقضى الوقت بالمفاوضة بدون جدوى. فعاد القتال بينهما على أشدّه وهزم الأشتر النخعي رجال معاوية الذين كانوا حوله. حتى إنتهى الأمر في تلك المعركة الحامية الى رفع المصاحف ثّم قرار التحكيم الذي إنتهى أمره بالخديعة لتثبيت أقدام معاوية في الحكم.

فكان أثناء هذه الحملة العسكريّة العظيمة التي مرّ الإمام عليه السلام بكربلاء في أوائل شهر ذي القعدة من تلك السنة فنزلها بخيله ورجاله. ولم يكن وضع كربلاء إذ ذاك، حسب الظاهر، بأحسن من

وضعها بعد أربع وعشرين سنة من هذا التاريخ يوم قدمها الحسين عليه السلام فنزل فيها هو وأصحابه الكرام في مستهل عام ٦١ من الهجرة، فهي بلاد منهدمة، وآثار بالية، وديار خالية من الأهل والسكان في كلا الحالين تعلوها بعض الروابي والتلال، وتنتشر في اطرافها بعض النخيل والأشجار على شاطئ الفرات الزاخر بمياهه الذهبيّة المتدفقّة.

وأما حديث مرور الإمام ونزوله بكربلاء في تلك السنة وهو في طريقه الى صفين فقد ذكره الرواة والمحدّثون من عامة المسلمين على إختلاف مذاهبهم، فجاؤا فيه بتفاصيل تختلف أحياناً باختلاف رواته الأصليّين، فكأنّ كل واحدٍ منهم أتى بطرفٍ أو ناحيةٍ منه كان قد شهدها بالذات أو سمعها من آخرين، ومن مجموع هذه الروايات يمكن الحصول على معلوماتٍ واسعة في الموضوع. وليست أيّ واحدة منها، حسب الظاهر بمعارضة أو مخالفة لغيرها من الروايات. فمنها ما تنصّ على مرور أمير المؤمنين بكربلاء وتشيد بمكانتها وقدسيّتها، فتكشف عن صفحةٍ جديدة من تاريخها القديم المجهول بأنها في ماضي عهدها كانت مهبط الوحي ومهد النبوّة كان فيها الأنبياء والأوصياء والاسباط وقد ذهب المئات منهم ضحايا في سبيل الحق والمبدأ. وأن البقعة نفسها بقعة زكيّة طاهرة مقدّسة لأن الإمام يطوف بها طواف المرء بالبيت وهو راكب

على بغلته وقد أخرج رجله من الركاب. وهي الرواية التالية التي رواها جعفر بن محّمد بن قولويه عن أبيه وعن محمّد بن الحسن رحمه الله عن الحسن بن متيّل عن سهل بن زياد عن علي بن أسباط عن محمد بن سنان عمّن حدّثه عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

" خرج أمير المؤمنين علي عليه السلام يسير بالناس حتّى إذا كان من كربلاء على مسيرة ميلٍ إو ميلين تقدّم بين أيديهم حتى صار بمصارع الشهداء ثم قال: قبض فيها مائتا نبيّ، ومائتا وصيّ، ومائتا سبط كلّهم شهداء باتباعهم. فطاف بها على بغلته خارجاً رجله من الركاب فأنشأ يقول: مناخ ركابٍ، ومصارع الشهداء لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من أتى بعدهم"(١).

هذا كل ما نجد في هذه الرواية من وصفٍ لمعالم كربلاء القديمة عند مرور أمير المؤمنين بها في تلك السنة دون أن نلمس فيها شيئاً عن وضعها ووصفها إذ ذاك. أما الرواية الأخرى فهي مقتصرة على القسم الأخير من هذه الرواية مع بعض الشيء من الإسهاب والتفصيل عن مبلغ تأثر أمير المؤمنين عليه السلام وتهيّج عواطفه النفسيّة عندما نزل

(١) الكامل: ص٢٧٠، و" مزار البحار ": ص١٤٣ وقد مرّ ذكر هذه الرواية في فصل " كربلاء على عهد الكاشييّن والآثوريّين ".

بهذه الأرض، وهي الرواية التي رواها أيضاً جعفر بن محمّد بن قولويه بسندٍ غير السند المتقدّم فرواها عن أبيه وعن جماعة من مشايخه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن جعفر بن محمّد بن عبيد الله عن عبد الله بن ميمون القدّاح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

" مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في أناس من أصحابه. فلمّا مرّ بها إغرورقت عيناه بالبكاءِ، ثم قال:

هذا مناخ ركابهم، وهذا مُلقى رحالهم، وهنا تُهرق دمائهم. طوبى لكِ من تربةٍ عليكِ تُهرق دماءُ الأحبّة "[١].

وقريب من هذا المضمون وألفاظه هو ما رواه الملاّ في "السيرة" مع بعض الزيادة على ذلك فقال: ان علياً مرّ بقبر الحسين فقال: "هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم. فتية من آل محمّد يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض"[٢].

فباختلاف الرواة تنوعّت الروايات في حديث كربلاء فأخذ كل واحدٍ منهم بناحيةٍ من هذا الحديث وأظهر جانباً منه. ومن ذلك ما

---

(١) كامل الزيارة: ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

(٢) الصواعق لابن حجر: ص١١٥.

أخرجه إبن سعد عن الشعبي قال:

" مرّ علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره الى صِفّين وحاذى نينوى قرية على الفرات فوقف وسئل عن إسم هذه الأرض، فقيل كربلاء. فبكى حتى بلّ الأرض من دموعهِ ثمّ قال:

دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي. فقلت ما يُبكيك؟ قال كان جبريل عندي آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشاطئ الفرات بموضعٍ يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمّني إيّاه فلم أملك عيني أن فاضتا"(١).

وقد تعدّدت هذه الأحاديث عن طرق العامّة والخاصة وتنوعّت في تعابيرها وألفاظها بشتّى الأساليب حسب تعدّد الرواة وكلّها تحوم حول مرور أمير المؤمنين عليه السلام في تلك السنة بكربلاء ونزوله بها ردحاً من الزمن يستعرض بعضاً تاريخ هذه البقعة، وبعضاً ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمّا سيتمّ في ساحة هذه الأرض من جرائم وآثام فيحدّث به رجاله وخواصه. كما ونجد عن طرق العامّة صورةً أخرى لهذه الرواية بنفس المآل تقريباً وهي ما رواه عبد الله بن يحي عن أبيه قال:

---

(١) المصدر نفسه.

" أنّه سافر مع عليٍّ وكان على مطهرته فلمّا حاذى بيوتنا[(١)] وهـو منطلق الى صِفّين، فنادى عليٌّ: صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله، صبراً أبا عبد الله بشاطئ الفرات.

فقلت له: ماذا أبا عبد الله؟ فقال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان فقلت يا نبيّ الله أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال قام من عندي جبريل عليه السلام قبل وحدّثني أن الحسين يُقتل بشط الفرات. قال: فقال هل لك ان أشمّك من تربته؟ قلت نعم. فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عينّي أن فاضتا"[(٢)].

فكلّ واحدٍ من الرواة، كما تبيّن، يصوّر طرفاً من حديث كربلاء، ومرور الامام عليه السلام بها ليس في رواية غيره.

وصورة أخرى لهذا الحديث جاءت بدقائق وتفاصيل اوسع بكثير ممّا تقدّم في " أمالي " الصدوق عليه الرحمة بسنده عن مجاهد عن إبن

(١) " فلمّا حاذى بيوتنا" في هذه الرواية هو عين ما جاء في الرواية السابقة " حاذى نينوى قرية على الفرات" بقرينة أن عبد الله بن يحيى الذي روى عنه الخبر هو من أهل نينوى كما سيأتي بيانه.

(٢) الذخائر: ص١٤٨، والمسند للإمام احمد بن حنبل: ج١/ ص٨٥.

عبّاس وهما، كما يعلم الجميع، من أساطين الرواة عند القوم، وعليهما يدور إعتماد المحدّثين والمؤرخين في مثل هذا الباب. حتى وإن أكثر روايات الطبري التاريخيّة، وهو شيخ المؤرخّين في الإسلام، ترجع إلى كلٍّ من مجاهد وإبن عبّاس كما يستبان ذلك من أسانيد كتاب تاريخه المعروف بـ " تاريخ الأمم والملوك".

وقد روى هذا الحديث مجاهد عن إبن عبّاس قال:

" كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه الى صفّين فلمّا نزل بنينوى وهو بشط الفرات قال بأعلى صوته: يا ابن عبّاس، أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين. قال لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتى إخضلّت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معاً وهو يقول: أوه، أوه مالي ولآل أبي سفيان، وأولياء الكفر؟ صبراً أبا عبد الله فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم. ثّم دعا بماءٍ فتوضأ وضوء الصلاة فصلى ما شاء الله ان يصلّي ثّم ذكر نحو كلامه الأول إلاّ أنّه نعس عند إنقضاءِ صلاته وكلامه ساعة. ثم إنتبه فقال: يا إبن عبّاس فقلت ها أنا ذا. فقال: ألا أحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟

فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين؟ قال رأيت كأني برجالٍ قد نزلوا من السماءِ معهم أعلام بيض، قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة. ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدمٍ عبيط. وكأني بالحسين نجلي وفرخي قد غرق فيه وهو يستغيث فلا يغاث. وكأن الرجال البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول فإنكم تُقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنة، يا أبا عبد الله، إليك مشتاقة. ثم يعزونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر فقد أقرّ الله به عينك يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرّب العالمين. ثم إنتبهت هكذا.

والذي نفس عليّ بيده لقد حدثني الصادق المصدّق أبو القاسم (صلى الله عليه وآله) أنّي سأراها في خروجي الى أهل البغي علينا، وهذه أرض كربٍ وبلاء، يُدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً كلهم من ولدي وولد فاطمة، وأنّها لفي السموات معروفة، تذكر أرض " كربٍ وبلاء" كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس.

ثم قال لي: يا إبن عبّاس أطلب لي حولها بعر الظباء. فوالله ما كذبت ولا كُذّبت، وهي مُصفرّة لونها لون الزعفران.

قال إبن عبّاس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة فناديته يا أمير المؤمنين

قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي. فقال عليّ عليه السلام: صدق والله ورسوله. ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمّها وقال: هي هي بعينها. أتعلم يا إبن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريّون، فرأى ها هنا الظباء مجتمعة[١] وهي تبكي. فجلس عيسى عليه السلام وجلس الحواريّون معه فبكى وبكى الحواريّون وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى. فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك قال: أتعلمون أي أرضٍ هذه؟ قالوا: لا. قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد وفرخ الحرّة الطاهرة البتول شبيهة أمّي، ويلحد فيها، طينة أطيب من المسك لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا تكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء. فهذه الظباء تكلمنّي وتقول إنّها ترعى في هذه الأرض شوقاً الى تربة الفرخ المبارك وزَعَمتْ أنّها آمنة في هذه الأرض. ثم ضرب بيده الى هذه الصيران[٢] فشمّها وقال هذه بعرُ الظباءِ على هذا الطيب لمكان حشيشها[٣]،اللهم فأبقها أبداً حتى يشمّها

---

(١) كانت تكثر الظباء والغزلان قديماً في هذه المنطقة ولها بعض الأثر الى الآن في أطراف هذه البقعة.

(٢) الصيرة: حظيرة الغنم والبقر جمعها صِيَر وصِيَرّ ولعل صيران ايضاً. (ومن معانيها وعاء المسك، كأنه أراد تشبيه البعر بنافجة المسك لطيبها. المعدّ)

(٣) كذا في الأصل، وأرض كربلاء هي معروفة بطيب تربتها، وجودة زروعها، ونكهة ←

أبوه فتكون له عزاءً وسلوةً[١]، قال: فبقيت الى يوم الناس هذا وقد أصفرّت لطول زمنها، وهذه أرض كربٍ وبلاء. ثم قال بأعلى صوته: يا ربّ عيسى بن مريم، لا تبارك في قتلته، والمعين عليه، والخاذل له. ثم بكى بكاءً طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً، ثم أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه وأمرني أن أصرّها كذلك، وقال: يا إبن عباس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً، ويسيل منها دمٌ عبيط فاعلم أن أبا عبد الله قد قتل بها ودُفن".

قال إبن عباس: فوالله لقد كنت احفظها أشد من حفظي لبعض ما إفترض الله عز وجل عليّ وأنا لا أحح لبعض ما إفترض الله عز وجلّ عليّ، وأنا لا أحلها من طرف كمّي، فبينما أنا نائم في البيت إذ إنتبهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً وكان كميّ قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ، وقلت قد قتل والله الحسين، والله ما كذبني عليٌّ قط في حديثٍ حدّثني، ولا أخبرني بشيء قط أنّه يكون إلا كان كذلك، لأن رسول الله

ثمارها وكانت كذلك قديماً على ما يظهر من هذا الحديث.

(١) إن بين مرور عيسى عليه السلام بكربلاء بناءً على هذا الخبر وبين مرور أمير المؤمنين بها وهو في طريقه الى صفين في عام ٣٦ من الهجرة الموافق لعام ٦٥٧ من الميلاد لا يتجاوز الستمائة وسبعة وعشرين سنة وهو عهد قريب نسبتاً بينهما كما يلاحظ.

صلى الله عليه وآله وسلم كان يخبره بأشياءٍ لا يخبر بها غيرَه.

ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر فرأيت والله المدينة كأنّها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس فرأيت كأنّها منكسّفة، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط. الحديث"[١].

وأما من الوجهة التاريخية فما أشبه حديث إبن عبّاس هذا وحفظه البعر في طرف كمّه إلى أن إنقلبت دماً عبيطاً يوم قُتل فيه الحسين عليه السلام بحديث أمّ سلمة وتلك السِهلة أو التربة الحمراء التي أتى بها الأمين جبرئيل للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) من موضع مصرع الحسين بكربلاء فأخذها أم سلمة و" جعلتها في ثوبها " على ما أخرجه البغويّ في معجمه وأبو حاتم في صحيحه، أو أخذها منه " فصرتّها في خمارها " على ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده الى أن إنقلبت تلك التربة دماً يوم كان فيه قتل الحسين عليه السلام بكربلاء[٢].

وكان إبن عبّاس قد تحسّس بالفاجعة أيضاً عن طريق الرؤيا على ما أخرجه كل من إبن بنت منيع وأبي عمر الحافظ السلفي وغيرهما عن إبن عبّاس نفسه قال:

---

(١) راجع " الأمالي " للصدوق: ص٣٥٦ – ٣٥٧، طبع ايران.

(٢) راجع " ذخائر العقبى " ص١٤٧ – و" الصواعق " لابن حجر، ص١١٥.

" رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار، وهو قائمٌ أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم.

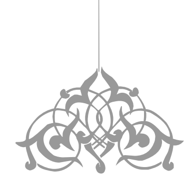
فقلت: بأبي أنت وأميّ يا رسول الله، ما هذا؟

قال: دم الحسين وأصحابه لم أزل ألتقطه منذ اليوم. فوجد قد قُتل في ذلك اليوم"[1].

فإن هذه الأخبار والروايات المتقدّمة التي وردت عن طرق الفريقين تعطي القارئ بمجموعها بعض الصورة التقريبية عن معالم كربلاء في ذلك العهد. وهذا هو غاية ما يمكن الوصول إليه من تاريخها في تلك الفترة البعيدة من خلال ما خلفّه لنا الرواة في أحاديثهم المختلفة.

---

(١) الذخائر: ص١٤٨ – والصواعق: ص١١٦ واللفظ للأول.



كربلاء من بعد عام ٣٦ هـ الى وقعة الطف ومرور رأس الجالوت بها

ومن بعد هذه المرحلة الأخيرة من تاريخ كربلاء التي تتوسط بين الفتح ووقعة الطف لم نجد خلال الأربع والعشرين سنة الباقية من هذا العهد ذكراً لكربلاء في التاريخ يستوقف النظر أو يستحقّ التنويه عدا مرور رأس الجالوت بها بين حينٍ وآخر لأنّها تقع، على ما يظهر، على طريقه كلما كان يتجول بين مُدن الطف من الكوفة الى بابل. وذلك ما رواه الدولابي في كتابه " الكنى والأسماء " فقال: حدّثنا يزيد بن سنان قال حدّثنا محمّد بن كثير قال حدّثنا سليمان بن كثير عن الحصين عن العلاء بن أبي عائشة عن أبيه عن رأس الجالوت قال:

" كنّا نسمع أنّه يُقتل بكربلاء إبن نبيٍّ، فكنت إذا دخلتها ركّضت دابتي حتّى أخلفها. فلمّا قُتل الحسين جعلت أسير على هينتي"[1].

(١) الكنى والأسماء للدولابي: القسم الثاني، ص٢٠، طبع حيدرآباد دكن ١٣٢٢هـ.

وقد ذكر الدولابي حديث رأس الجالوت بصورةٍ مقتضبة عن هذا الطريق بينما ذكره الطبري في تاريخه عن طريقٍ آخر بصورة أوفى وأكثر تفصيلاً من ذلك فقال:

روى محمّد بن عمّار الرازي قال حدّثنا سعيد بن سليمان قال حدّثنا عباد بن العوام قال حدّثنا حصين،[1] قال حدّثني العلاء بن أبي عاثة قال حدّثني رأس الجالوت عن أبيه قال:

" ما مررت بكربلاء إلاّ وأنا أركض دابّتي حتى أخلف المكان. قال: قلتُ لِمَ؟ قال: كنا نتحدّث ان وَلَدَ نبيّ مقتولٌ في ذلك المكان، قال وكنت أخاف أن أكون أنا. فلما قُتل الحسين قلنا هذا الذي نتحدّث. قال: وكنت بعد ذلك اذا مررت بذلك المكان أسير ولا أركض"[2].

وقد ذكر ابن عساكر أيضاً هذا الحديث في تاريخه ج٤ ص٣٢٦، ويتعيّن من هذه الرواية بأن المسيحّيين أيضاً الى قبل وقعة الطّف كانوا يعتقدون بأنّه لا بُدّ وأن يُقتل إبن نبيّ في هذه الأرض فكانوا يتوقعون وقوع الأمر في ذلك الوقت. فكان اعتقادهم في ذلك مثل اعتقاد

→

وفي نسخةٍ " على هيئتي " بدلاً عن " على هينتي ".

(١) الطبري: ج٦/ص٢٢١.

(٢) الطبري: ج٦/٢٢٣.

المسلمين بقتل الحسين عليه السلام فيها وهو ابن نبيّ الاسلام وقد أخبرهم جدّه بذلك. فكانت كربلاء الأرض الموعودة التي تحفّ بها البلاء في نظر المسلمين والمسيحّيين على حدٍّ سواء.

فكان رأس الجالوت، وهو الرئيس الديني للنصارى بالفرات الأوسط في ذلك العهد، يجتنب أن يدخلها أو ينزل بها فيخلف المكان هارباً كلّما مرّ بكربلاء وفي تلك المدة لاعتقاده الأكيد بهذا الأمر وخوفاً من أن يكون هو المقتول فيها لأنّه كان من أولاد الأنبياء على ما يظهر من سياق الحديث.

ولكن من أين لرأس الجالوت هذا العلم، هل عن طريق الإسلام أم عن طريق النصرانية دينه؟

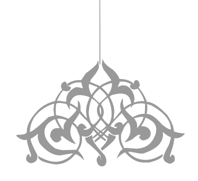
لا شك في أن علمه كان غير متأتٍّ عن طريق الاسلام لعدم اعتقاده بالإسلام وأخباره، وثمّ لأن علمه بهذا الأمر كان اجمالياً فكان يعلم أنه يُقتل ابن نبيّ فيها دون أن يعلم من يكون ولذلك كان يخاف على نفسه كما قدمّنا، والحالة ان الأخبار الإسلامية كانت صريحة بأن الذي يُقتل فيها هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وهذا هو الفرق بين الحالين، إذن فلم يكن علمه بذلك عن طريق الإسلام في كل حال وإنّما كان عن طريق النصرانية وأحاديثهم كما يظهر.

ووجود هذا الاعتقاد عند رأس الجالوت إذ ذاك يؤيد ما مرّ معنا في الفصل السابق من إخبار عيسى بن مريم عليه السلام بقتل الحسين بكربلاء فتناقله الرواة عندهم الى ظهور الاسلام فأخفوا التشخيص، لانّ التشخيص كان يلزمهم بالاعتراف بنبوة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام، مع أنه بالنتيجة يعترف بذلك لقوله" فلما قتل الحسين قلنا هذا الذي نتحدّث ".

وقد أدرك رأس الجالوت وقعة الطّف وعاش من بعدها بزمن على ما يظهر. فكان يمرّ بكربلاء من بعد الوقعة يدخلها وينزل بها أحياناً وهو مطمئن البال على نفسه لأنّ الذي كان يجب في نظره أن يُقتل فيها كان قد قُتل في عاشر محرم ٦١هـ، فلا خوف ولا بأس عليه هو بعد ذلك من أن يسير على رَسله ولا يُركض دابته فيها.

ختام الجزء الأول

وبهذا يُختتم الآن الجزء الأول من تاريخ كربلاء العام بعد أن إتّصلت فيه حلقات التاريخ من العصور القديمة الى مستهل القرن الأول من الهجرة الى الفتح الإسلامي، فإلى وقعة الطّف في عام ٦١ للهجرة. ويليه الجزء الثاني منه ان شاء الله تعالى ومنه التوفيق.



والآن فأن موضوع بحثنا هو تاريخ كربلاء وعمرانها ومعالمها الحاضرة من مختلف النواحي الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في هذه الحقبة القصيرة من الزمن من مستهل القرن الى الوقت الحاضر، غير أن ذلك لا يمنعنا أن نرتّد بالحوادث أحياناً الى الوراء الى الأدوار القديمة كلما إقتضت الحال وتوفّرت المصادر لإيفاء الموضوع حقه من البحث والتمحيص اللازمين لتجلية ناحيةٍ من النواحي، أو إقامة قسمٍ مُهم لا يستقيم تاريخ كربلاء في العصر الأخير إلاّ به كجزءٍ مكمل لتاريخها في الوقت الحاضر.

وكربلاء – كما هو معلوم لدى الجميع – غنيّة عن التعريف، إذ أنّها في عداد المدن الاسلاميّة من الدرجة الأولى التي تتمتع بشهرةٍ عالمية واسعة مثل المدينة المنورة ومكّة المعظمة مهبط الوحي ومهد الدعوة الإسلاميّة في الجزيرة العربية. كما أنها في تاريخ العالم من حيث الشهرة في عداد المدن المخلد ذكرها على صفحات الأيام وسجّل العصور من قبيل

مُدن طرواده، وبابل، وآشور وغيرها في التاريخ، كما أنها من طراز المدن المهمّة الحاضرة من حيث الصيت والشهرة، إذ أنك لا تكاد تستشير مُعجماً من المعاجم، أو موسوعةً من الموسوعات، أو إحدى دوائر المعارف في مختلف اللغات الأروبيّة والأجنبية عن لفظة "كربلاء" إلاَّ وتجد حتى في أقلّ واحدٍ منها شرحاً وبسطاً بأن: " كربلاء وهي من مدن آسيا جرت فيها مأساة أليمة قتلوا فيها ابن بنت نبي الإسلام وأصحابه".

وطبيعي أن مثل هذه الشهرة العالمية لم تأتها عفواً بغير سبب، ولم تنل كربلاء هذه الشهرة الواسعة إلا منذ ألف وثلاثمائة سنة فقط. والحالة أن هذه البقعة كانت موجودة قبل ذلك، وكربلاء، وهي إسم هذه البقعة كانت بطبيعة الحال تسبق ظهور الاسلام، ومع ذلك لم يُوجد لها أي أثرٍ أو ذكرٍ في التاريخ. وعلى فرض وجودها إذ ذاك لم تتمتع بشهرةٍ كما تمتعت بها من بعد، إذا لم تكن في عهدها القديم بأكثر من بقعةٍ زراعية بسيطة خاملة الذكر على عهد الكلدانيّين والآشوريين والكاشيين والعموريين والأكديين والسومريين أو غيرهم. فكانت أرضاً من الأراضي الزراعيّة الكثيرة من طّف الفرات التابعة لبابل أو الكوفة لا أكثر ولا أقل من ذلك على أيّ تقدير.

إذن، فما الذي أكسب تلك الأرض الخاملة هذه الشهرة العالميّة

التي جعلت إسمها يرّن في الآذان، وذكرها يُردّد على الأفواه، وتاريخها العظيم النادر يملأ النفوس والقلوب مدى العصور والأجيال بين الأمم والشعوب في كلِ مكان؟

تلك الفاجعة الأليمة، وتلك المأساة التاريخيّة الفجيعة التي كانت أرض الطّف ساحة عرضٍ لها منذ ثلاثة عشر قرن، فصبغت سماءها بالأرجواني القاتم، وأروت تربتها بدماء الشهداء من الأبرار في العاشر من محرّم عام ٦١ من الهجرة، فألبستها حلةً من السواد حداداً على تلك الأرواح الزاكيات، والتي فوق أرضها وتحت سماءِها كانت ضحيّتها الإباء، والشهامة، والحق، والعدل، والحرية، هي التي منحت هذه الأرض تلك الشهرة العالمية الفائقة وأنعَمت عليها وسام الخلود بين نظائرها من المدن المشهورة في التاريخ القديم، أو بين المدن الاسلاميّة المقدّسة من الطراز الأول. تستمدّ كربلاء الحياة والبقاء والشهرة العالمية من تلك الفاجعة الاليمة، ويقترن تاريخ ظهورها بتاريخ تلك المأساة العظيمة التي لم يشهد التاريخ نظيراً لها في الأزمنة الغابرة، ولا في العصور المتأخرة من تاريخ البشرية.

ولهذه البقعة كما يحدّثنا التاريخ أسماء مختلفة كانت تطلق هذه الأسماء عليها دون فرقٍ أو تمييز؛ فكان يُطلق عليها إسم الغاضريّة،

ونينوى، ومارية، وعمورا، والنواويس، وشاطئ الفرات، وشط الفرات، والحائر، والحير، والطف، ومشهد الحسين. وأما كربلاء فليست غير أحد هذه الأسماء الكثيرة المختلفة التي في عدادها كانت تُطلق قديماً على هذه البقعة، فتغلّبت بمرور الزمن على غيرها من الأسماء شيوعاً وإنتشاراً في العرف والتاريخ حتى غدت الآن هي الوريثة الوحيدة لها ولا تُعرف اليوم هذه البقعة إلاّ بهذا الاسم، ثم عمّ إستعمالها حتّى شمل إسمها اللواء الذي تُعتبر مدينة كربلاء قصبة له. ولا تجد بقعة من بقاع العالم تتمتع مثل كربلاء بأسماء عديدة وذلك بهذه الكثرة في التسمية.

وتعدّد الأسماء لبقعة واحدة وان كان جائزاً لعدم وجود مانع من ذلك فعلاً، ولكن إطلاق أسماء متعددّة بهذه الكيفيّة ولا سيمّا بهذه الكثرة على بُقعة واحدة ليس في الظاهر إلاّ نظريّة بعيدة الإحتمال تحتاج الى بعض الشيء من التريّث والتأمل في التعليل. فلا بُدّ من وجوه وإحتمالات في ذلك، منها أن بعض هذه الأسماء تكون عامّة تشمل منطقةً أوسع، وبعضها خاصّة لأجزاء صغيرة من تلك المنطقة كما هي الحال وفي كل مكان. وأمّا بين هذه الأجزاء نفسها فقد يكون أن الحدود فيما بينها ما كانت معينّة ثابتة فكانت بعضها متداخلة في البعض الاخر منها مما كان يجوّز إطلاق إسم الواحد منها على الآخر بدون فرقٍ أو

تمييز دون أن يكون ذلك مخالفاً للواقع.

وقد يتراآى للباحث في التاريخ أن بعض تلك الألفاظ هي أسماء، والبعض الآخر منها أوصاف، فاجتمع الاسم والوصف للمحل الواحد نفسه كما سيأتي البحث فيما يلي مفصلاً في كل أسم من هذه الأسماء من ناحية الوضع واللغة والتاريخ.

أما الغاضرية ونينوى، منها إسمان لقريتين متجاورتين أو متقاربتين على الأقل تقرب إحداهما من الأخرى، وكانتا تقعان على طريق الحسين عليه السلام في مسيره إلى كربلاء وعلى مسافةٍ قريبة من كربلاء نفسها كما يُستدل ذلك من التاريخ عندما قطع الحر بن يزيد الرياحي الطريق على الحسين وأصحابه، فتياسر الحسين عليه السلام عن الطرق المؤدّية الى الكوفة والمدينة الى أن بلغوهما وكان الحُر هنا قد تلقىّ الأمر من الكوفة أن: "يجعجع بالحسين، وأن لا يُنزله إلاّ بالعراءِ في غير حصن وعلى غير ماء"[1].

فقال له الحسين: " ويحك! دعنا ننزل هذه القرية أو هذه – يعني نينوى والغاضريّة – أو هذه، ويعني شُفيّة" مما يدّل على أن الغاضرية ونينوى قريتان متجاورتان كانتا تقعان على طريق الحسين عليه السلام

---

(١) أعيان الشيعة: ج٤ /ص ١٩٥يجعجع بالحسين: أي يضيّق عليه.

بالقرب من كربلاء.

ولا يُعرف الآن موقع نينوى ولا الغاضرية بالضبط، ولكن مما لا شك فيه أن نينوى واقعة بين كربلاء، وبين الجانب الأيسر من نهر الفرات في شرقي كربلاء، ولا زال يوجد على مسافة قريبة من سدة الهنديّة الواقعة على الفرات طريق يسمى بطريق نينوى كان يؤديّ هذا الطريق قديماً الى قرية نينوى التي عفيت آثارها ولم يبق سوى الاسم منها الآن، لأن وجه الأرض قد تغير تماماً في هذه الجهة. فأصبحت بساتين النخيل الباسقة المترامية الاطراف تقوم على أنقاض تلك القرى القديمة البالية. وفي وسط هذه المروج اليافعة بالنخيل المكتظّة على مقربة من كربلاء كانت تقع حسب الظاهر قرية الغاضرية قديماً، إذ أن البساتين الواقعة على الجهة اليُمنى من جدول الحسينيّة شمالي كربلاء، بين تل الهيّابي ومقام الإمام جعفر الصادق و" أربع نهران"[1] لا تزال هي معروفة بإسم "الغاضريات" لتعدّدها، وهي جمع الغاضرية الاسم القديم لهذا الموضع كما يظهر، حتى وأن قيودها الرسميّة بدائرة الطابو لا زالت مسجّلة بهذا

(١) شُيّد هذا المقام أثراً تذكارياً في موضع إغتسل الصادق عليه السلام في الفرات قبل زيارته لجدّه الحسين؛ ولا زال المقام مشيداً لهذا اليوم. – و" أربع نهران " علم معروف بهذه الكيفية.

الاسم ممّا يدّل على قِدَم هذه التسمية. والغاضرية، كما يصفها معجم البلدان، منسوبة الى غاضرة من بني أسد، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء.

وأما من حيث الموقع فإن الغاضرية " واقعة على مقربة من قبر عون بن عبد الله بن جعفر الطيار في شماليه. وهناك آثار قلعة حصينة تعرف بقلعة بني أسد، والبناء القائم منها الى اليوم مقدار ذراع ونصف، وعرض سورها ثلاثة أذرع بالحديد البغدادي، وكبر الآجرة الواحدة ذراع بغدادي في مثله، فهي إذن مربعة الشكل. وكانت الغاضرية سابقاً قرية طار صيتها في الآفاق على عهد الدولة الأموية وأدرك عمرانها أوائل الدولة العباسية. وكان الزمان يحاربها ويقارعها فتارةً تغلبه وأخرى يغلبها، ولم تزل بين صعود وهبوط، ورقي وانحطاط حتى فاضت النفس الأخيرة في أواسط الدولة العباسية، ولم يبق منها إلاّ أطلال دارسة، وآثار بالية، وأنقاض تنطق بما كان لها في الأزمنة الغابرة من الشأن الخطير، والعمران المنقطع النظير"(١).

وخلاصة القول أن هذا بعض ما تصل اليوم اليه اليد من

(١) راجع الصحيفة: ص٧٤٨ – ٧٤٩ من المجلد السابع من مجلة "المقتبس " الدمشقية لسنة ١٣٣٠هـ = ١٩١٢م لكرد علي.

المعلومات التاريخية عن وصف الغاضرية، ومعالمها القديمة، وآثارها الباقية مع تحديد أو على الأقل تعيين موقعها لدرجةٍ ما على وجه التقريب.

ومما يؤيد ذلك ما رواه الشيخ المفيد في " الارشاد" عن مواضع دفن الشهداء بقوله: " ودفنوا – أي بنو أسد – العباس بن علي عليه السلام في موضعه الذي قتل فيه على طريق الغاضرية حيث قبره الآن. ثم يقول في محل آخر: فإن العباس دفن في موضع قتله على المسناة بطريق الغاضرية وقبره ظاهر. الأمر الذي يستفاد منه ان الغاضرية كانت تقع في شمالي كربلاء وعلى مسافة قريبة منها.

ومتى ما تعين موقع الغاضرية بالتحقيق او بالتقريب امكن تشخيص موقع نينوى بالتقدير لقربها وهما كما ورد في معجم البلدان" بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه. فان ما يُستفاد من هذا القول بصورةٍ خاصة عدا النقاط الأُخرى هو أن إسم نينوى كان لعهدٍ متأخر عن " وقعة الطف " يُطلق على كربلاء، لأن ياقوت في اوائل القرن السابع من الهجرة كان يعتبر كربلاء جزءاً منها. ومما لا شك فيه بأن هذا الاسم كان هو الاسم الشائع لهذه البقعة الى القرن الثالث والرابع الهجري، اذ يستنبط ذلك ممّا

رواه الشيخ الطوسي في " الأمالي " في ذكر هدم المتوكل العبّاسي لقبر الحسين عليه السلام بأنّه لّما: " بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد(أي أهل العراق) يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين عليه السلام... لآخر الرواية ".

على ان نينوى في عين الحال اسم لنهرٍ كان يتفّرع قديماً من الجانب الغربي من الفرات، فكانت الاراضي التي يسقيها هذا النهر وفي ضمنها كربلاء تحمل إسمه بالتبعيّة إمّا مباشرةً وإمّا بطريق الاضافة، ولعل النهر نفسه كان قد سُميّ في الأصل بإسم الأرض التي كان يمرُّ منها كما هو الحال لحد اليوم في تسميتها بإسم النهر الذي يسميها وهو جدول الحسينية فيقال أراضي الحسينية، أو ناحية الحسينية، كذلك كان يطلق إسم نينوى وصفاً على كل هذه الأراضي التي كان يمرّ بها ويسقيها.

فلا عجب إن أطلقوا هذا الإسم على كربلاء نفسها، لأن كربلاء كانت جزءاً من نينوى كما مرّ في وصف " معجم البلدان " لها، وذلك على سبيل إطلاق إسم الكل على الجزء في كل حال.

وباسم نينوى هذه إتخذّ الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) في القرن السابع قبل الميلاد عاصمةً له على ضفة دجلة اليُسرى بين مدينة كالح و" دور شروقين" في شمال العراق حيث تقع اطلال "

قويونجق" وقرية النبي يونس مقابل مدينة الموصل. فبقيت نينوى عاصمة الآشوريين لآخر دولتهم حين سقطت على يد الماديّين والبابليّين عام ٦١٢ قبل الميلاد في عهد آخر ملوكهم " سنشارايشكون" وقد كانت عامرة بالقصور الفخمة والحدائق الزاهية والمكتبات الغنيّة.

وبذلك أصبحت مدينتان بإسم نينوى في التاريخ، إحداهما في الشمال في بلاد آشور، والأخرى في الجنوب في بلاد بابل كما أشار اليه القاموس بأن " نينوى، بكسر أوله، موضع بالكوفة وقرية بالمَوصِل ليونس عليه السلام". واكتفى " لسان العرب " بذكر الأولى منهما بأن " نينوى إسم قرية معروفة بحذاء كربلاء ". مما يدّل دلالة على ما كان لهذه من الشهرة والمعروفيّة في القديم. دون الاخرى إذ أن نينوى بابل هذه كانت قديماً من أمهات القرى، بل من المدن الشهيرة في جنوب العراق وكانت " عامرةً زاهرة بالعلوم والآداب كسائر القرى الاسلامية – على ما تصفها لنا مجلة " المقتبس " الدمشقية المار ذكرها – وعاصر عمرانها زمن الصادق جعفر بن محمد، ثم أخذت بالإنحطاط رويداً رويداً حتى طمست معالمها واندرست آثارها ودخلت في خبر كان في أوائل القرن الثالث الهجري. وموقعها اليوم بحسب التحقيق شرقي بلدة كربلاء قريبة من الفرات، محاذية لكرود طويريج (=طويرق، قضاء الهندية) وهي الآن

رواب وتلال فيها آثار جمّة لو عنيت الحكومة بالبحث عن آثارها لانكشف الغطاء، وأزيل الستار عن تاريخها الغامض بما تصل اليه يد التنقيب والاجتهاد. ولم يزل الأهلون يطلقون على تلك الروابي المرتفعة لفظة نينوى وهي من جملة الآثار في لواء كربلاء"[١].

فمن ذلك يتبين ما كان لنينوى بابل من الاهمية والتقّدم كأختها الشمالية نينوى آشور، ومع ذلك كله لا نعلم أيّهما كانت أقدم فسُميّت الأخرى بإسمها، أنينوى بابل أم نينوى آشور؟

وليس باليد مستندات تاريخية صريحة تُلقي الضوء على مثل هذه المسألة المهمّة التي يُقاس بها تفاعل الحضارات وتأثير بعضها على البعض الآخر عدا الاستنتاج من بعض القرائن والحوادث التاريخيّة، أو من قواعد إشتقاق الاسماء وتعليلها. أما القرائن في هذا الأمر فهي:

إن سنحاريب هدم مدينة بابل، ووسع قرية نينوى واتّخذها عاصمةً له، لأن بابل ثارت على الحكم الآشوري حتى كان سنحاريب يحارب مصر. فبعد رجوعه إنتقم منها شر إنتقام، إذ أنه فتح بابل عنوةً، وهدم أسوارها، ودكّ حصونها، وأحرق قصورها ودورها، ولم يكتف بذلك لما إتّصف به من القسوة والظلم فسلّط عليها مياه الفرات وأغرقها

(١) راجع الصحيفة: ص ٧٤٨ من المجلد السابع من المجلة المذكورة.

بعد الهدم كما فعل بها مرةً ثانية بقليل من بعده حفيده آشور بانيبال. وللقضاء التام على بابل ومعالمها لعلّه سمّى عاصمته الجديدة بإسم نينوى التي هي من أرض بابل ليوجّه انظار الجنوب شطر الشمال ويمحي بذلك كل آثرٍ وذكر لبابل ولا يُستبعد ذلك من سياسة الملوك الأقدمين.

كانت بابل مهد الحضارات القديمة في وادي الرافدين، وإن حضارة الآشوريين نفسها كانت بابليّة في الأصل وفي مظاهرها لأن الآشوريّين من سكّان بلاد بابل القدماء فكانوا هم في مقدّمة الساميّين في النزوح نحو الشمال نقلوا معهم التراث البابلي من معالم المدينة والحضارة، فلا غرو إذن إن سُميّت بعض مدنهم بأسماء المدن البابليّة، وممّا يؤيّد ذلك قول دائرة المعارف البريطانية بأن: " إسم نينوى أعطى للعاصمة الأشورية حسب الظاهر في القرون الوسطى " أي في عهد متأخر عن القرون الأولى بالطبع. وبهذا الاعتبار تكون هذه هي التي سُمّيت باسم " نينوى " بابل، فتكون الأخيرة إذن أقدم من تلك في التاريخ.

واذا ما لُوحظت القضيّة من ناحية الاشتقاق فلا يتأيّد قِدَم تسمية نينوى آشورعلى نينوى بابل. ولم يُعط للآن وجهاً مرضياً لاشتقاق هذا الإسم باعتقاد دائرة المعارف الدينيّة الانكليزية، فقد ذهبوا فيه مذاهب شتى، منها ان الاسم مركبّ من كلمتين مؤدّاها " مأوى نين "على وجه

الإحتمال والتقريب[١].

وقد ذهبوا ايضاً أن " وى " بمعنى الدار أو البيت، و" نين " بمعنى السمك، فتكون نينوى بهذا الاعتبار محل يكثر فيه الأسماك. واستنبط البعض هذا المعنى لاسم نينوى من صلة " عشتار " إلهة المدينة بألهة الاسماك بنت الإله E a[٢]، وهو ما يدّل – كما قلنا – على وجود السمك بكثرة في نينوى وتوابعها لما من الصِلة بين المدينة والاسماك كما هو الحال لحد اليوم بأن هذه المنطقة من الفرات يكثر فيها السمك ومنها يصدّر الى الخارج. ويظهر أنها كانت كذلك قديما، لأنّ " معجم البلدان " عند ذكره عيون الماء الجارية بأرض الطّف حول كربلاء مثل القُطقُطانة، والرهيمة، وعين الجمل، وعين الصيد وممّا يقوله في وجه تسمية كل واحدةٍ منها بأن: " سُمّيت عين الصيد لكثرة السمك الذي كان بها "[٣].

على أن الوجوه المتقدّمة في تعليل اشتقاق كلمة " نينوى " تبدو غير وافية لو عرفنا:

(١) راجع: المجلد الثاني من " قاموس الكتاب المقدّس " للدكتور جورج بُست: طبع بيروت ١٩٠١م، في مادة " نينوى ".

(٢) راجع: مادة " نينوى " في المجلد الثالث من Encyclopaedia biblica.

(٣) راجع: " معجم البلدان " لياقوت في مادة " الطفّ ".

١ - أن نينوى كلمة غير ساميّة الأصل[١].

٢ - وأن نينوى بابل من البلاد التي شملها الحكم السومري في جنوب العراق قديماً، قبل أن تُسمّى نينوى آشور بهذا الاسم.

٣ - وأن نينوى آشور نفسها هي – في نظر دائرة المعارف البريطانية – " مدينة سومرية بالأصل سكنها السومريّون قبل نزوحهم الى الجنوب[٢]، وأعطى لها إسم نينوى في العصور الوسطى" أي في عصر متأخر. حتّى وأنها كانت – في نظر البعض من الباحثين – آهلة بسكان غير ساميين[٣] عند تشكيل الدولة الآشوريّة في الشمال.

وإذن، لو كانت المدينة نفسها غير ساميّة الأصل، يكون إسمها بطبيعة الحال غير ساميّ، وبناءً عليه يجب أن نبحث عن اسمها بالقياس على الأسماء السومريّة غير الساميّة. فان كلمة " نينوى " إن كانت مركبّة يجب أن تكون مركبّة من " ني + نوى " لا من " نين + وى " كما ذهبوا اليه، وهذا قياساً على الاسماءِ السومريّة للمُدن القديمة في جنوب العراق

(١) راجع: مادة " نينوى " في Encyclopaedia Britanica.

(٢) هذه كانت نقطة مجهولة بأن السومريين دخلوا العراق من الشمال الشرقي وسكنوا شمال العراق في القرية التي فيما بعد سُميت نينوى قبل نزوحهم الى الجنوب وسكناهم في سهل شنعار الممتد من ضواحي بغداد الى الخليج.

(٣) راجع " نينوى " في المجلد الثالث من Encyclopaedia Biblica.

التي تجد فيها، على الأكثر، ان المقطع الأوّل في البعض منها هو كلمة " ني " كما هو الحال في إسم " نيبور " التي هي من المدن السومريّة في الجنوب حيث اطلالها اليوم في " نِفر "(١) الذي هو مُعربّ نيبور بالقرب من عفك.

على ان إسم الغاضرية ونينوى يرد بكثرة كنايةً عن كربلاء في " أدب الطف " الذي يخلّد ذكرى شهداء الطف كل عام ويشيد ببطولتهم وبتضحيتهم في سبيل الحق والمبدأ، كما يلاحظ في الأبيات التالية:

يا كوكب العرش الذي من نوره	الكرسيُ والسَبعُ العلى تشعشع
كيف إتخذت " الغاضرية" مضجعاً	والعرش ودّ بأنه لك مضجع
كرامٌ بأرض " الغاضرية" عَرّسوا	وطابت لهم أرجاء تلك المنازل
ومُذ أخذت في "نينوى" منهم النوى	ولاح بها للغدر بعض العلائِم
غدى ضاحكاً هذا وذا متبسّماً	سروراً وما ثغر المنون بباسمِ
ذكر الطفوف ويوم عاشوراء	منها جفوني لذة الاغفاءِ
وتذكّري رُزء الحسين بنينوى	أغرى دموع العين بالاجراء

(١) فقد ضبطها صاحب " معجم البلدان " بلفظة " نِفرَّ " بكسر أوله وفتح ثانية وتشديده.

هـــل الحـــزن إلاّ علـــى معـــشرٍ؟ بنـــو اطيـــب المجـــد في نينـــوى
لقـــد طاولـــت في العلـــو الـــشداد غـــداة ابـــن فـــاطم فيهـــا ثـــوى
غـــالبتم نفـــراً بـــضفّة نينـــوى فغلبـــتم والغالـــب المغلـــوب

وأمّا شاطئ الفرات، وشطّ الفرات فهما إسمان مترادفان لهذه الأرض كثيراً ما ورد ذكرها في الأخبار، فقد جاء في كتاب كنز العمّال أخرجه ابن سعد عن عليّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم قال: أخبرني جبرئيل أن حسيناً يُقتل " بشاطئ الفرات "[١].

كما وقد ورد في " الآمالي " للصدوق عن إبن عبّاس قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خروجه إلى صفّين فلمّا نزل بنينوى وهي " بشط الفرات " قال بأعلى صوته يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟ - قلت: لا، ما أعرفه يا أمير المؤمنين – فقال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي. قال: فبكى طويلاً حتّى إخضلّت لحيته وسالت الدموع على صدره وبكينا معه وهو يقول: آه، آه، مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حزب الشيطان وأولياء الكفر؟ صبراً، صبراً يا أبا عبدالله فلقد لقى أبوك مثل الذي تلقاه منهم[٢].

(١) الصواعق لابن حجر: ص١١٥، طبقات ابن سعد: ح١٧٣.

(٢) الامالي للصدوق: ص٣٥٦.

وروى الصدوق في كتابه " جامع الأخبار" ص٣١(طهران ١٣١٤هـ)عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: " من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه ".

وهذان الإسمان معروفان لحد اليوم في العرف والاستعمال فيقال مثلاً: فندق شاطئ الفرات، أو فندق شط الفرات، وأمثال هذا الاستعمال بناءً على الاسم القديم، وإطلاقها على كربلاء ليس– في نظرنا – إلاّ لكون كربلاء واقعة في امتداد الأراضي الزراعية الواقعة على طول شاطئ الفرات أو شط الفرات، فيكون من قبيل إطلاق إسم الكل على الجزء وصفاً. وقد ورد ذكره في الشعر ايضاً في قول رفاعة ابن أبي الصيفي:

ألم َتــرَ هــامتي مــن حــبّ ليلــى ... علـى شـاطي الفـرات لهـا صـليل

فلــو شَــرِبَتْ بـصافي المــاء عــذبٍ ... مــن الاقــذاء زايلــها العليــل

أمّا النواويس، فهي إسم جمع مفردها الناووس أو الناؤِوس، وهذا يُطلق على حجرٍ منقور مجوّف تُوضع فيه جثّة الميّت.

وقد قيل أن الكلمة ليست عربيّة وأنّها من أصلٍ دخيل في اللغة، وقد يمكن أن تكون عربيّة من مادة: " نَاسَ، ينُوس، نوساً " أو من مزيد هذا الفعل من " نوّس بالمكان تنويساً " أي أقام فيه جاء منه على وزن "

فاعول " للمبالغة في طول الإقامة الأبديّة للميّت في الدار الآخرة، ثم أطلق بالاستعارة على القبر أو اللحد الذي يضمّه إلى آخر الدهر عند النصارى. لأنّ النواويس كما وصفها المؤرخون هي مقابر النصارى كان يرجع عهدها الى ما قبل الاسلام حين كانت هذه البقاع من بابل الى الحيرة ومنها الى الخليج آهلة بقبائل عربيّة " كانت بعضها تدين بالمسيحيّة على مذهب النساطرة "(١).

وقد عُرفت باسم " النواويس " قديماً بقعة بحذاء كربلاء كانت تضمّ قبوراً من هذا النوع فاشتهرت بهذا الاسم. غير أنّه من الصعب جداً تحديدها اليوم بصورة قاطعة لتبعثر تلك القبور في أماكن مختلفة تجعل حدودها متداخلة أحياناً بحدود كربلاء نفسها. وقد وجدت بعض آثار لها في البعض من بساتين نخيل كربلاء. إذ عثروا على حبوب من فخار مستطيل الشكل فيها ترابٌ أخضر اللون أحياناً يظنّها البعض على سبيل الحدس والتخمين بانها من النواويس.

وممّا جاء في وصفها أخيراً لبعض الكتّاب المعاصرين هو أن: " النواويس هي الآن مقابر مفردها ناؤوس على وزن فاعول واللفظة

---

(١) راجع: " العرب قبل الاسلام" لجرجي زيدان: الطبعة الثالثة، مصر ١٩٣٩م، ص١٨٧.

دخيلة في العربيّة، وهذه القطعة واقعة في شرقي كربلاء ممّا يلي بحيرة السليمانية في محل يقال له(براز علي) و(زان ذهاب)، وتتصّل بنهر الحسينية، ويوجد في هذه القطعة الآثار المؤيدة لصحة موقعها ووجودها، كالتلال والروابي المرتفعات ويستخرج منها أحياناً توابيت الخزف، وفي داخلها طريق ضيّق للغاية، ويوجد في قعره تراب أصفر اللون يرميه العرب في النار فتفوح منه رائحة كريهة يشمّها الأنسان من مكان بعيد. وهذا ممّا يقويّ استدلالنا على وجود هذه البلدة أو القرية في عهد علي رضي الله عنه[١]. ولعل الرائحة التي تشم من ذلك التراب حين رميه بالنار تُنبئنا بانها أجساد بالية قديمة. وذكر أحدهم أن النواويس التي وردت في عرض كلام عليّ[٢] واقعة ممّا يلي قبر الحر بن يزيد الرياحي. وعرّف بعضهم موضع كربلاء بأنه مجاور لقبر إبن حمزه على النهر المشهور بنهر الحلة قريب من الوادي العتيق وفي هذا القول نظر، إذ ليس لدى قائله أدلة تاريخية وأسانيد نقلية تؤيد دعواه بل ان ذلك من باب الحدس والتخمين لا من باب الاستدلال واليقين"[٣].

---

(١) وقع الكاتب في خطأ، إذ المقصود في هذين الموردين هو الحسين لا عليّ عليه السلام.

(٢) نفس المصدر.

(٣) راجع: المجلد السابع من مجلة "المقتبس" الدمشقية لسنة ١٣٣٠= ١٩١٢م، ص٧٤٩.

وقد ورد ذكر النواويس كثيراً ولا سيما في خطبة الحسين عليه السلام حين خروجه من مكة المعظمة الى العراق في آواخر عام ٦٠ من الهجرة حيث يقول:

" خُطَّ الموت على وُلد آدم مَخطَّ القِلادة على جيد الفتاة. وما أولهني الى أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف. وخُيِّر لي مَصرعٌ أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تُقطِّعها عُسلانُ الفلوات بين النَّواويس وكربلاء. فيملأنَّ مني أكراشاً جَوّفا، وأَجربةً سُغباً، لا محيصَ عن يومٍ خُطَّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويُوفّينا أُجور الصابرين. لن تَشُذَّ عن رسول الله لُحمتُهُ بل هي مجموعةٌ له في حضيرة القُدس تَقَرُّ بهم عينه، ويُنجزُ بهم وعدُهُ.

ألا فمن كان باذلاً فينا مُهجتَهُ، ومُوَطِّناً على لقاءِ الله نفسَهُ فليرحَل معنا. فإنّني راحلٌ مُصبحاً إن شاء الله تعالى"[١].

وقد وصف الحسين عليه السلام في هذه الخطبة بإيجاز وضع العالم الاسلامي إذ ذاك وما اصابه من الوهن والتفسخ والانحلال باستهتار

---

(١) راجع: "أعيان الشيعة " طبع دمشق، ج٤ /ص٢٧٦، واللهوف للسيد إبن طاووس: ص٥٢ – ٥٣، وكذلك: " سمو المعنى في سمو الذات "، طبع مصر سنة ١٣٥٨، ص١١٥ وقد استشهد مؤلفه العلايلي بهذه الخطبة في تحليل" عظمة المضاء" – و" خصائص الحسين " للشيخ جعفر التستري: ص١٠١، ط ايران سنة ١٣٠٦هـ.

العصابة الأمويّة بذلك البناء الشامخ الذي أقامه جدّه فكان يعزّ عليه إنهياره على يد تلك الفئة العابثة، فشبّههم عليه السلام بـ "عُسلان الفلوات" أي الذئاب المفترسة.

وصريح قوله يدّل على أنّه مُقدمٌ على أمرٍ خطير لا بُدّ وان ينتهي بمصرعه في كفاحٍ لا يتوازن جانباه بين الحق والباطل لقلة نصراء الحق وكثرة أنصار الباطل لما طرأ على العالم الاسلامي في العصر الأموي من ضروب الضغط والارهاب، وسياسة إفساد الأخلاق العامة بشتى الطرق والأساليب.

فيتعيّن من خطبته هذه ان مصرعه عليه السلام في موضعٍ يتوسط بين كربلاء وبين النواويس، وهو في الواقع حيث يقع الآن ضريحه بين شبه الدائرة الممتدّة من آثار بقايا القبور القديمة في" تل شليت" غربي المدينة الى " تل عنَك، أي عُنق" بالچمالية(الكمالية) وأطراف (القنطرة البيضاء) [١] في شمال المدينة وشمالها الشرقي، وبين تلك الأرض المعروفة بإسم " كربلا " بالألف المقصورة، أو كربلة الواقعة في الجنوب الشرقي منها. وهذا بإجماع من اصحاب السِيَر والمقاتل والتاريخ.

---

(١) انشئت هذه القنطرة في القرن العاشر الهجري، وتبعد ثلاثة آميال عن مركز المدينة.

وعدا ذلك، فقد تجد ذكر النواويس ووصف موجز لها في خبر مفصّل رواه محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠من الهجرة في كتاب "الغيبة" وخلاصته أن أبا سورة محمد بن الحسن بن عبد الله التميمي الزيدي المذهب قال: " خرجت الى الحَير، فلمّا صرت الى الحَير إذا شاب حسن الوجه يُصلّي، ثم انه ودّع وودّعت، وخرجنا فجئنا الى المشرعة. فقال لي: يا أبا سورة، أين تُريد؟ فقلت: الكوفة.

فقال لي: مع من؟ قلت: مع الناس. قال لي: لا تريد نحن جميعاً نمضي؟ قلت: ومن معنا؟ فقال: ليس نريد معنا أحداً... فسألني الرجل عن حالي، فأخبرته بضيعتي وبعيلتي، فلم يزل يماشيني حتى انتهينا الى النواويس في السحر. فجلسنا، ثم حفر بيده فاذا الماء قد خرج، فتوضأ ثم صلّى ثلاث عشر ركعة. ثم قال لي: إمض الى أبي الحسن علي بن يحيى، فاقرأ عليه السلام، وقل له: يقول لك الرجل إدفع الى أبي سورة من السبعمائة دينار التي مدفونة في موضع كذا وكذا مائة دينار. واني مضيت من ساعتي الى منزله، فدققت الباب، فقال من هذا؟ فقلت: قولي لأبي الحسن هذا أبو سورة. فسمعته يقول مالي ولأبي سورة ثم خرج الّي فسلّمت عليه، وقصصت عليه الخبر. فدخل وأخرج إلي مائة دينار فقبضتها فقال لي: صافحته؟ فقلت نعم، فأخذ يدي فوضعها على

عينيه ومسح بها وجهه" [١]. وعند وصولهما الكوفة وافتراقهما يرسله ايضاً الى ابن الزراري علي بن يحيى ليأخذ منه مبلغاً من المال الذي مؤمّن عنده. وهنا يسأله ابو سورة عن إسمه وشخصه، فيعرف انه محمّد بن الحسن عليه السلام.

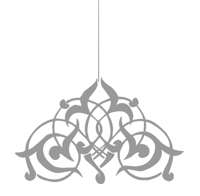
ويستنتج من هذه الرواية انها كانت في أوائل أو أواسط الربع الأخير من القرن الثالث الهجري في شباب المهدي عليه السلام، وأن النواويس كانت في هذا الوقت قرية عامرة فيها البيوت والمنازل ذات الابواب مما يدل على تقدّمها، وانها كانت قريبة من الحَير لان بلغاها مشياً وقت السحر. وكانت تقع – حسب هذه الرواية – بمسافة عن الحيرَ في الطريق الذي منه كانوا ينتهون الى الكوفة في ذلك العهد.

وأن الأموال المودّعة في اطراف الحَير وحواليه في النواويس والكوفة وغيرها كانت – حسب الظاهر– موضوعة لغرض اعادة البناء وتعمير القبة المطهرة كلما هدأت الأحوال واعيدت المياه الى مجاريها في تلك الظروف الشاذة القاسية. وقد استلزم تعمير القبة من جديد بزمن قليل قبل حكاية أبي سورة لأن السقيفة كانت قد سقطت على الزائرين في ذي الحجة من سنة ٢٧٣هجرية [٢].

---

(١) كتاب " الغيبة " للطوسي، طبع تبريز سنة ١٣٢٣هـ، ص١٧٣–١٧٤.

(٢) بحار الانوار: ج٩/ ص٦٧٩، وأعيان الشيعة: ج٣/ ص٥٨٨.



الطفّ

أما الطفّ، فهو أكثر من غيره من هذه الاسماءِ الكثيرة المختلفة شيوعاً بعد كربلاء في الأخبار والأحاديث والتاريخ حتى وفي الاستعمال، غير أنّه لا يُنسب اليه كما يُنسب الى الحائر إلاّ بطريق الاضافة فلا يقال " طفّي " كما يُقال الحائري أو الكربلائي. وقد ورد ذكر الطفّ قديماً قبل الوقعة نفسها في أحاديث عديدة. فقد ورد في " الصواعق المُحرقة " لابن حجر الهيثمي المكي ما أخرجه إبن سعد والطبراني عن عائشة: " أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أخبرني جبرئيل أن إبني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطفّ، وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه "[١]. وكذلك ورد مثل هذا الحديث في كتاب كنز العمال ممّا أخرجه إبن سعد والطبراني في الكبير عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

(١) أعيان الشيعة: ج٤ / ص١٣٩.

(٢) اعيان الشيعة: ج٤ / ص١٤٠.

وعلى الأكثر في الاستعمال يُقال مثلاً: وقعة الطفّ، ويوم الطفّ، وحادث الطفّ وغير ذلك بدلاً عن وقعة كربلاء.

والطفّ، لغةً هو ما قُرب ودنى، فهو الجانب والشاطيء من جانب البر وساحل البحر أو النهر، أو هو ما يشرفُ من الأرض على العراق من " أطفّ على الشيء" أيّ أطلّ وأشرف عليه. ولذلك سُمّيت هذه البقعة من أرض العرب طفّاً لأنها تدنو من ريف العراق من قولهم: " خُذ ما طفّ لكل واستطفّ" أيّ ما دنى وأمكن. وقد أصبح هذا الإسم يطلق على طفّ الفرات وهو طرف البّر ممّا يلي الشاطيء. ثم قضى الاستعمال والاصطلاح أن يكونُ منذ القديم علماً لهذه البقعة الخاصة من أرض كربلاء لأنها تقع على إمتداد طفّ الفرات وشاطئه. فعُرفت كربلاء في التاريخ بهذا الاسم، وقد كثر هذا الإستعمال حتى من قبل حدوث الوقعة نفسها كما أسلفنا.

وقد إتفّق المؤرخون والجغرافيون ايضاً على هذه التسمية لكربلاء، وقد قال الجوهري: والطفّ ساحل البحر وجانب البّر ومنه الطفّ الذي قُتل فيه الحسين. وأوضحه ياقوت بأكثر من ذلك في مُعجم البلدان بأن: " الطفّ أرضٌ من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه". ثم أخذ يصفها جغرافياً بأنها: "أرض باديةٍ قريبة

من الريف فيها عدة عيون ماءٍ جارية منها الصيد، والقُطقُطانة[١]، والرُهَيمة، وعين جمل وذواتها، وهي عيون كانت للموكّلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم، وذلك ان سابور أقطعهم أرضها يعتملونها من غير أن يُلزمهم خراجاً. فلما كان يوم " ذي قار " ونصر الله العرب بنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم غلبت العرب على طائفةٍ من تلك العيون وبقي بعضها في أيدي الأعاجم "... ثم يذهب ياقوت في وجه تسمية كل عينٍ منها بأن:" قالوا: وسُمّيت عين جمل، لأن جملاً مات عندها في حدثان استخراجها، وسُمّيت عين الصيد لكثرة السمك الذي كان بها." [٢].

ثم يستشهد صاحب معجم البلدان بالابيات التالية التي ورد فيها ذكر الطفّ لأبي دهبل الجُمحي وهو يرثى الحسين بن علي رضي الله عنه ومن قُتل معه بالطفّ:

(١) هي موضع قرب الكوفة من جهة البريّة بالطفّ به كان سجن النعمان بن المنذر. وبينها وبين الرُهيمة مغرباً نيفّ وعشرون ميلاً أذا خرجت من القادسيّة تريد الشام ومنه الى قصر مقاتل ثم القريّات ثم السماوة. ومن اراد خرج من القطقطانة الى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الغيوم الى هيت. (عن المعجم). أما اليوم فتسميها العرب ط گط گانة بالتصحيف والتحريف.

(٢) معجم البلدان – ياقوت الحموي، ج٦/ ص٥١

مَـــرَرت علـــى أبيـــات آل محمـــدٍ ... فلـم أرَهـــا أمثالهـــا يـــوم حلَّـــتِ

فـــلا يُبعـــد اللّه الـــديار وأهلـــها ... وإن أصبحت منهم برغمّي تخلَّـتِ

ألا ان قتلـى الطـفّ مـن آل هاشـم ... أذلّـــت رقـــاب المـــسلمين فـــذلَّتِ

وكـــانوا غياثـــاً ثـــم أضـــحو رزيّـــةً ... ألا عظمـت تلـك الرزايـا وجلَّـتِ

وجـا فـارس الأشـقيّن بعـدُ برأسـه ... وقـد نِهلَـت منـه الرمـاح وعَلَّـتِ

ويقول أيضاً:

تبيـــت ســـكارى مـــن أميـــة نُوَّمـــاً ... وبـالطفّ قَتلـى مـا ينـام حميمهـا

ومـــا أفـــسد الاســـلام إلاّ عـــصابة ... تـــأمّر نَوكاهـــا فـــدام نعيمهـــا[1]

فـصارت قنـاة الـدين في كـف ظـالم ... إذا اعـوّج منهـا جانـب لا يُقيمهـا

وقد يرد أحياناً أن تجمع كلمة الطفّ، ويأتي جمعها الطفّوف كما جاء في القصيدة الفائية المشهورة لمهيار الديلمي وهو يصف ضريح الحسين عليه السلام وما يخالط تربته الزاكية من رائحة المسك وهو يقول[2]:

---

(١) نوكى جمع أنوك، وهو العاجز الجاهل الأشد حمقاً من فعل: نَوِك، يَنْوَك، نَوَكاً ونُواكاً أي حمق. و" تأمر نَوْكاها " أي تولى أمر الامة من هم أجهل وأشد حمقاً من الآخرين.

(٢) ديوان مهيار الديلمي: ج٢/ ص٢٦٤، ط مصر ١٣٤٤هـ

كــأنّ ضـــريحك نـــشْرُ الربيــع   هبـــت عليـــه نـــسيم الخريـــف

أنَـــشْرُك مـــا حمـــل الزائـــرون   أم المـسك خـالط تـرب الطفّـوف؟

كما وقد ورد جمع الطفّ في البيت التالي لشاعرٍ آخر:

ذاقوا الحتوف بأكناف الطفّوف على   رغـم الأنـوف ولم تـبرد لهـم غلـل

كما ومثله في البيت التالي أيضاً:

ذكــر الطفّــوف ويــوم عاشــوراء   منعــا جفــوني لــذة الاغفــاءِ

وفي الصحاح للجوهري في مادة أسا:

وإنَّ الأُلى بـالطَّفِّ مـن آلِ هـاشـمٍ   تَأَسَـوا فـسَنُّوا للكـرامِ التَّآسِيا

وفي " أدب الطفّ " الحديث لبعض المعاصرين وهو من أرّق الشعر يستعرض فيه الحوادث التي وقعت لآل بيت الرسالة بأرض الطفّ:

ليلة العاشر طولي والبسي ثوب الظلام   ودعـــــي آل طـــــه في الخيـــــام

أنت يا أرض الطفوف ومثار الذكريات   كم على تربك قد سالت دماءٌ زاكيات

وللشيخ صالح الكواز الحلي المتوفى عام ١٢٩٠هـ.

ما عذرُ مَنْ ذكرَ الطفّوف فلم يمُت   حزنـاً بـذكرِ الطـاءِ قبـلَ الفـاءِ

عجبـاً لقلـبي كيـف يـألف حـبّكم   لِـمْ لا يـذوبُ بحرقــة الأرزاءِ

وعجبت من عيني وقد نظرت الى ... ماءِ الفرات فلم تسل في الماءِ

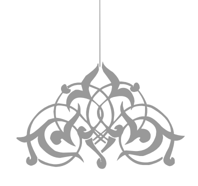
وألوم نفسي في إمتداد بقائها ... إذ ليس تفنى قبل يوم فناءِ

يا أيّها النبأ العظيمُ إليك في ... إبناكَ منّي أعظمُ الأنباءِ

إن اللذينَ تسرّعا يقيانك ... الأرماح في صفّينَ بالهيجاءِ

ذا قاذفٌ كبداً له قِطعاً وذا ... في كربلاءَ مقطعُ الأعضاءِ[1]

(١) ديوان الشيخ صالح الكواز الحلي – تحقيق: محمد علي اليعقوبي، ص١٧.



الحائر – والحَيْر

أما الحائر، فهو في عداد تلك الأسماء الكثيرة التي كانت منذ القـديم الى الآن تطلق على هذا الموضع، وقد يرد هذا الإسم غالباً في النسبة اليه بدلاً عن كربلاء، فيقال" الحائري" لمن هو منسوبٌ اليها.

والحائر، لغةً إسم فاعل من: حَارَ، يَحِيرُ، حَيْراً، من تحيّر الماءُ إذا اجتمـع ودَارَ، ومـن تحيّـرت الأرض بالمـاءِ إذا إمـتلأت، جمعـه حُـوْران وحِيران على الأشهر. وهو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف كما وصفه اللغويون، أو بعبارةٍ أخرى محلٌ منخفض تعلـو جوانبـه وأطرافـه على شكل حوضٍ ذي حَوْرٍ[١] يجتمع اليه المياه كلما نزلت الأمطار مـن السماء أو فاضت عن الزروع.

---

(١) الحَوْر: هـو العُمـق والقَعـر. يقـال: فـلان بعيـد الحَـور أي عميـق الغَـور بمعنـى أنـه عاقل، وما أصبت حوراً؛ أي ما أصبت شيئاً.

وسُمّي حائراً لأنه كلما هبّ النسيم على سطحه تمّوجت المياه المحصورة فيه على شكل حلقات تتوسع الواحدة تدريجياً تلو الأخرى حتى تنتهي الى أطراف الغدير فيتردّد الماء ويتحيّر كأنه لا يدري كيف يجري أو أين يسير. وحِيرة الماء بين الجوانب ورجوعه بهذا النحو من أقصاه الى أدناه في مجتمعه هي التي منحته إسم الحائر. ولعل كربلاء أو بعض أجزائها سُميّت بهذا الاسم منذ القديم لما كان في ارضها من المنخفضات التي يُسيّب اليها مسيل ماء الأمطار. وان لم يكذّب التاريخ نفسه فلا زال يوجد فيها لحدّ اليوم بالوراثة الجغرافية للأرض مثل هذه المنخفضات في أطراف البلد حيث تتشكل منها المستنقعات الواسعة لاسيّما في قسمها الجنوبي والتي لم تستطع الحكومة من التغلّب عليها لحدّ الآن بردمها ردماً نهائياً صحيحاً لإنقاذ حياة عشرات الألوف من البشر الذين يذهبون كل سنة ضحايا بخسة للأوبئة المختلفة والأمراض الفاتكة التي مصدرها الوحيد هي تلك المستنقعات الضارّة المتكّونة في أطراف البلد المقدّس.

وقد إتّفق الرواة والمؤرخون والجغرافيون وأهل اللغة على تسمية كربلاء بالحائر بصورةٍ مطلقة. وعلى ما يظهر من الأخبار والروايات فان كربلاء كانت تعرف بهذا الإسم منذ القديم. فقد ورد ذكرها في الطبري

(ج١٠ ص١١٨) باسم الحَيْر، والحَيْر عند أهل اللغة مخفّف لفظ الحائر بلغة العامة لاستحسانهم التخفيف عادة في الأسماء[١].

ويقول" معجم البلدان ": والحائر قبر الحسين بن عليّ رضي الله عنه، وبقليل بعده يقول: وإنّهم يقولون الحَيْر بلا إضافة اذا عنوا كربلاء. فصار ياقوت يميّز بين الحائر والحَيْرْ بأن الأول أخص وهو إسم القبر وما حوله، بينما الثاني – في نظره – إسم لكربلاء كلّها.

غير أن رواية الطبري التي سبقت الاشارة إليها ليس فيها ما يدّل على هذا الفرق.

ثم تجد " لسان العرب " بعد تعليله لكلمة الحائر وبيان ما ذكروا لها من الوجوه يذهب أيضاً الى قول المؤرخين والجغرافيين في هذه التسمية فيقول: " والحائر كربلاء سُمّيت بأحد هذه الاشياء" أي بأحد الوجوه التي ذكرها في معنى الحائر، فيقف عند هذا الحد دون أن يبّت في وجه تسميتها بهذا الاسم فترك الأمر على غموضه وإبهامه.

ونحو ذلك ما ورد في الصحاح: " والحَير بالفتح شبه الحضيرة، والحِمى، ومنه الحَيرِ بكربلاء". وفي"تاج العروس " في مادة حَيَرَ تصريح

---

(١) وفي تخفيفه بالحَيِّر راجع معجم البلدان: ج٣/ص٢٠٣، ولسان العرب ج٥/ص٣٠٣، و" مجمع البحرين " للطريحي في مادة " الحائر".

بأن " الحائر إسم موضع فيه مشهد الامام المظلوم الشهيد ابي عبد الله الحسين". ويضيف الطريحي في "مجمع البحرين " على ذلك بقوله: "وفي الحديث ذكر الحائر وهو في الاصل مجمع الماء، ويُراد به حائر الحسين عليه السلام وهو ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام ".

وذكرت" دائرة المعارف الإسلامية الفرنسيّة" كلاً من الحائر والحَيْر إسماً لكربلاء على نحو ما ذهب اليه صاحب معجم البلدان كما تقدّم.

أمّا الأخبار والروايات الواردة عن طريق الدين فقد ورد فيها ذكر الحائر حيناً بمعنى كربلاء وحيناً بمعنى القبر المقدّس نفسه.

فلا إختلاف بين الأقوال بصورة مطلقة في تسمية كربلاء بالحائر تارةً، وبالحَيْر أخرى كما تقدّم. غير أن المصادر كافة لا تشير الى أمرين: وجه التسمية، وثانياً مبدأها. أكانت هذه التسمية لكربلاء من قبل الفتح الاسلامي على عهد الحِيرة أم بعده؟ - أكانت من قبل وقعة الطف أم بعدها؟ مع أنها لأمور لها أهميتها التاريخية سكتت عنها المصادر. فلا نعرف اليوم بالضبط هل الحائر وصفٌ للأرض في اللغة أم اسمٌ للبناء الذي شُيدّ حول الضريح وما يدور حوله؟

إذ أن في الحالة الأولى لا بدّ وأن يرجع تاريخ التسمية الى قبل وقعة الطف بالنظر لحالة الأرض الطبيعيّة في هذه البقعة وهذا أمرٌ لم

نتثبّته، وفي الثانية الى بعد الوقعة يوم شُيدّ أول بناءٍ على القبر المقدس.

ولم تختّص كربلاء بإسم الحائر وحدها على ما يظهر، فقد ذكرت " دائرة المعارف الإسلاميّة الفرنسيّة بأنّ: هذا الاسم كان قد خُصّص في الأصل لتعيين مواقع عِدّة[١]، منها الحائر الحسيني وهو المحوطّة المقدّسة لقبر الحسين بكربلاء(ياقوت، ج٢/ ص١٨٨ مراصد ٢٨٢، الطبري: ج٣ /ص٧٥٢) [٢]، ولرواية الطبري هذه أهميّة عظيمة من الناحية التاريخية، إذ أنّه يأتي لنا بشهادة قيمة بأن كربلاء منذ الصدر الأول من تلك العصور الغابرة كانت من المعابد الدينية لها سدنة ورجال دين معيّنون بوظائف من مختلف الدرجات كانوا يتقاضون مرتباهم من الأوقاف التي كانت قد أسّستها أم موسى أم الخليفة المهدي لهذا الغرض"[٣].

وقد وردت هذه الرواية في الطبري في عرضه لحوادث عام ١٩٣

---

(١) والحائر أيضاً حائر مَلهمَ باليمامة(ياقوت: ج٣/ ص٢٠٣). وبالبصرة حائر الحجاج معروف يابس لا ماء فيه وأكثر الناس يسميه الحير كما يقولون لعائشة عيشه يستحسنون التخفيف(لسان العرب): ج٥/ ص ٣٠٣- ٣٠٤ – وأن حياً كبيراً بظهر سامراء كان يسمى حائراً(دائرة المعارف الاسلامية المذكورة في مادة Hair).

(٢) ان الصفحات المذكورة هي من الطبعات الاوربيّة يقابلها ياقوت طبع مصر ج٣ /ص٢٠٣ ومراصد الاطلاع طبع ايران والطبري: ج١٠/ ص١١٨.

(٣) راجع Encyclopedie de L' islam طبع باريس، في مادة Hair.

على عهد الرشيد حيث يقول:

" وذكر علي بن محمد عن عبد الله قال أخبرني القاسم ابن يحيى قال: بعثه الرشيد الى ابن أبي داود والذين يخدمون قبر الحسين بن علي في الحَيْر، قال: فأتى بهم فنظر اليه الحسن بن راشد وقال مالَكَ؟ قال بعث إليّ هذا الرجل، يعني الرشيد، فاحضرني ولست آمنه على نفسي. قال له: إذا دخلت عليه فسألك فقل له الحسن بن راشد وضعني في ذلك الموضع. فلما دخل عليه قال هذا القول. قال ما أخلق أن يكون هذا من تخليط الحسن أحضروه. قال: فلما حضر قال ما حملك على أن صيّرت هذا الرجل في الحَيْر؟- قال رحم الله من صيّره في الحَيْر، أمرتني أم موسى أن أصيّره فيه وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهماً. فقال ردّوه الى الحَيْر، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى. وأم موسى هي أم المهدي إبنة يزيد بن منصور"[١].

وقد عرضنا هذه الرواية بحروفها وتبيّن منها أن اسم " الحير" كان يطلق على كربلاء الى آواخر القرن الثاني من الهجرة بموجب هذا السند التاريخي ولعل استعماله بقى شائعاً بعد ذلك بزمن بعيد كما جاء في معجم البلدان والصحاح وغيرها. أما النقاط الاخرى التي تضمنتها هذه

(١) وهو يزيد بن منصور الحِميرَي من ملوك اليمن.

الرواية فسنعود بعد لأي الى البحث فيها في الفصول الآتية.

على أن هناك بمسافةٍ غير بعيدة في جنوبي كربلاء موضعاً آخر يشتق إسمه هو والحائر من مادةٍ واحدة وهو الحيرة. وهذان الاسمان كما يلاحظ مشتقان كلاهما من مصدر " الحَيْرْ " فكأنهما يرجعان حتى في وجه التسمية الى أصلٍ واحد، خصوصاً اذا ما لاحظنا ان كل واحد منهما يقع بجانب الآخر تقريباً.

فهل هناك إذن، من صلةٍ تاريخية أو جغرافية أو من أيّ نوعٍ آخر تجمع بين الحائر أو الحَير بكربلاء وبين الحيرة بالنجف؟

وهذا أمرٌ قد لا يمكن البتّ فيه، ولا باليد مستندات تاريخية يمكن إستنباط شيءٍ منها. غير ان إقتراب الموضعين وتقارب الاسمين ورجوعهما الى أصلٍ واحد في اللغة يجعل الباحث يتساءل عن علّة هذا الأمر، أو على الأقل، عن هذه الصدفة في وجه التسمية بينهما، أكان ذلك لأمرٍ واقعي، أو على سبيل الاتّفاق؟

والحق يقال، إن الحيرة تحوم حول تسمية الحائر والحيرة وكل زعمٍ قد لا يجد فيه الى الواقع من سبيل، ومع ذلك لا يسع الباحث أن يغضّ النظر بين الاسمين من صلةٍ وإن كانت مجهولة. وقد قارنت دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية المذكورة بين الاسمين بقولها: " وعلى حدّ قول

الطبري (ج١/ ص ٧٤٥) فان بخت نصر(الملك الكلداني ٦٠٤ – ٥٦١ ق.م) كان قد بنى بالحيرة " حَيراً" على نحو سوقٍ محلي لتجّار العرب الموجودين في ذلك المكان. ويظهر من ذلك أن الحائر هو بمعنى مكانٍ محوّط او محل تعلو جوانبه واطرافه، وبهذا المدلول لشبهٌ تام بين معنى الحائر وبين الإسم الذي سُميّت به الحِيرة في أوّل عهدها. – ومن المحتمل في نظر دائرة المعارف الإسلامية المذكورة – أن تكون كلمة " الحائر " من الألفاظ الدخيلة في اللغة العَربيّة".

ويدور البحث كثيراً حول الحائر عن حدوده ومساحته. أمّا الحائر من حيث مدلوله اللغوي والاصطلاحي كما بينّا فان مساحته بالطبع تكون محدودة بطبيعة الأرض الجغرافية يوم حدوث الوقعة أو قبل ذلك حين إستلزمت تسمية هذه البقعة بهذا الإسم نظراً لانخفاض بعض أجزاءها بين مرتفعات على شكل حوضٍ ذي حَوْر يسيّب اليه مسيل ماء الأمطار. وهذا أمر قد لا يمكن البتّ فيه اليوم بصورة قطعيّة في أرضٍ توالى عليها العمران والخراب، والبنيان والهدم مراراً عديدة وبصورة متوالية على مر العصور والأعوام فتساوت تقريباً اجزاؤها المختلفة بأن علت بعض منخفضاتها وتواطئت بعض المرتفعات فيها تدريجياً بحكم الضرورة الهندسيّة للوقت، فزال بذلك مع الزمن الأثر الباقي لمعالم

التضاريس الأرضيّة التي كان يمكن بها تحديد الحائر جغرافياً بالضبط أو بالتقريب. إذ لم يبق في كربلاء اليوم غير أثرٍ ضئيل للتموجات الأرضية التي أخذت بالزوال مع الزمن بصورةٍ تدريجية.

فلم يبق إذن غير الرجوع الى الأخبار والروايات التي نقلها لنا الرواة في تحديد الحائر ومساحته. وهذه الأخبار مع ما تموج بها من الاختلافات الكثيرة فإنها – في نظرنا – هي الوثائق والمستندات التاريخية الوحيدة التي لابدّ للباحث من الرجوع اليها عند الضرورة في هذا الأمر، لأنها هي التي ترسم لنا حدود الحائر وتوضح مفهومه ومدلوله التاريخي الى درجةٍ ما حسب العرف والعادة الجارية في تلك العصور السالفة.

وتتلخص هذه الأخبار كما يلي:

أوّلاً – أن الرواة في تعريفهم للحائر ميّزوا بين الحرم والحائر. وحُدود الحائر عندهم – حسب ما ورد عن الصادق عليه السلام في روايتين – هي عشرون في عشرين ذراعاً[١]، أو خمسة وعشرون ذراعاً في مثلها من كل جانبٍ من القبر الشريف[٢]. فلو اعتبرنا الذراع كما يقدّر بنصف متر أو ما يقرب تكون مساحة الحائر بأعلى التقديرين المذكورين

---

(١) ابن قولويه في " كامل الزيارة "، النجف ١٣٥٦، ص٢٧٢ – وكذلك الشيخ يوسف البحراني في " الحدائق "، ايران ١٣١٦، ص٣٤٥ /ج٢.

(٢) ابن قولويه: ص٢٧٢.

عبارة عن ستمائة وخمسة وعشرين متراً مربعاً، وهي ما يطابق تقريباً تحديد ابن إدريس صاحب كتاب السرائر للحائر بأنه: " ما دار سور المشهد والمسجد عليه "[١].

أمّا الحرم، فهو حسب ما ورد فيه من الأخبار أوسع من الحائر بكثير لشموله على منطقةٍ واسعة مركزها الحائر من فرسخ واحد من كل جانب، أي مجموع اربعة فراسخ يقع القبر المطهر في نقطتها المركزية[٢]، أو من أربعة فراسخ في اربعة فراسخ على قول، وعلى قولٍ آخر من خمسة فراسخ من اربعة جوانب القبر الشريف[٣]. غير أنهم يستضعفونها ولا يقولون إلاّ بوجوب القصر في غير الحائر.

وهذا التمييز عند الرواة بين الحرم والحائر متأتٍ حسب الظاهر من أن الأوّل كما يدّل عليه إسمه هو منطقة آمنة لقدسيّتها، ولكنها خارجة عن الدائرة المشمولة لأحكام الحائر، أو أنها هي حدود الأراضي التي

(١) الشيخ يوسف البحراني في " الحدائق " ج٢/ ص٣٤٥.

(٢) راجع: ١- ابن قولويه في " كامل الزيارة " ص٢٧٢. ٢- مجلد المزار من " بحار الأنوار " للمجلسي. ٣- " الحدائق " للشيخ يوسف البحراني ج٢ ص٣٤٥، إذ ورد عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام انه قال: "حرمة قبر الحسين فرسخ في فرسخ من أربعة جوانبه".

(٣) ابن قولويه: ص٢٧٢، " الحدائق ": ص٣٤٥.

ابتاعها الحسين عليه السلام يوم نزوله هذه الارض بستّين الف درهم – كما ورد في الروايات – من أصحابها بني أسد سكان الغاضريّة ونينوى.

ومنشأ هذا التفكيك بين الحرم والحائر في الروايات يرجع لا الى حقيقة تاريخيّة وإنما الى مسألة عبادية حول الوجوب أو التخيير للمسافر في إتمام الصلاة في أربعة أماكن: في إثنين منها وهما مكة والمدينة يجب فيهما الإتمام بالإجماع وذلك في البلد الحرام داخل البيت وخارجه باعتبار ان مكة كلها حرم الله، وفي داخل المسجد النبوي بالمدينة وذلك بما كان عليه المسجد بدأ تأسيسه على عهد الرسول دون ما أضيف إليه للتوسع فيما بعد. ثم التخيير بالنتيجة بين القصر والتمام في إثنين منهما وهما مسجد الكوفة والحائر الحسيني وذلك مع القول بأفضليّة الإتمام فيهمّا. وحلّ هذه المسألة العباديّة هو الذي جعل الفقهاء يبحثون عن حدود الحائر وحقيقته حسب الروايات الواردة بهذا الصدد ممّا يدّل على أهميّة ابحاثهم لتحديد الحائر من الوجهة التاريخية.

ثانياً – حصرهم الحائر في دائرةٍ صغيرة لا تتجاوز – حسب مفهوم الروايات – حدود أول بناءٍ شُيّد حول القبر المطّهر في أول عهده وكان قائماً مع ما أدخل عليه من التحسين والتوسّع التدريجي الى زمن الصادق عليه السلام حين وردت عنه الرواية في تحديد الحائر بعشرين ذراعاً في

عشرين، أو خمسة وعشرين في مثلها من كل جوانب القبر. وهذا – حسب الظاهر – هو تحديد للبناء وما كان يشتمل عليه البناء في اطرافه وجوانبه إذ ذاك. إذ لا يعقل أن يأتي التحديد لخطٍ إفتراضي محض قد ينطبق على حدود البناء وقد لا ينطبق فيقع حيناً داخل البناء وحيناً خارجه. كما ولا يمكن القول بأنه قد رُوعي في تشييد البناء في أول عهده بعد وقعة الطف نفس المقاييس التي فيما بعد وجدت تأييداً من هذا النوع، وهذا مما يدّل على أن لا صلة بين لفظ " الحائر " في هذا المورد وبين مفهومه الجغرافي من منخفض يحير فيه الماء. أضف الى ذلك أن الروايات الواردة عن الأئمة جاءت معبّرة عن تلك بألفاظ مختلفة تدّل على كل شيءٍ إلاّ على المدلول الجغرافي فتراها تعبّر عن الموضع بلفظ " عند القبر " وحيناً " تحت القبّة ". وتارة بـ " الروضة " كما جاءت في رواية عن الصادق عليه السلام بأن " قبر الحسين عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً متكّسراً روضة من رياض الجنة منه معراج الملائكة الى السماء" وتارةً أخرى بعنوان " المشهد الشريف " الذي هو الحائر المقدس. كما وعبرت عنه ايضاً بـ " حرم الحسين " أي داخل البناء حول القبر وهو غير مفهوم الحرم الذي بينّاه فيما سبق[1].

(١) في تعدّد الاسماء للحائر الحسيني راجع الجزء الثاني ص٣٤٥-٣٤٦ من كتاب "

←

فتوارد الالفاظ العديدة وبهذه الكثرة للدلالة على موضع واحد هو الحائر ليس دليلاً إلاّ على أن للحائر نفسه مدلول ومفهوم مثلها وأنه في عداد تلك الاسماء المختلفة من حيث الدلالة والمعنى.

وخلاصة القول، فإن ما يُستنتج من الاخبار والروايات المتقدّمة هو أن الحائر إسمٌ للبناء الذي شيّد لأوّل مرة على القبر المطهر بعد وقعة الطف. وهذا كلّما يستطيع الباحث أن ينتهي اليه بنتيجة البحث، حتى وان تسمية المحل بالحائر لا ترتقي الى قبل الاسلام حتى ولا قبل الوقعة، وان لا صلة بين هذا الاسم وصفة الارض الجغرافية لعدم وجود الأدلة التاريخية عليه. وهذا القول تؤيدّه اللغة والروايات والقرائن معاً بالاتفاق. لأن الحائر على قول " لسان العرب " هو فِناء الدار أو ما يحيط بها لقوله: " وقالوا لهذه الدار حائرٌ واسع والعامة تقول حَير وهو خطأ.

والحائر كربلاء سُميّت بأحد هذه الأشياء"[1]. ثم يقرّبه الصحاح من ذلك بقوله: " الحَير بالفتح الحِمى، ومنه الحَير بكربلاء " واذا ما لاحظنا الكلمة من ناحية الاشتقاق فان الحائر والحارة من مادة واحدة في اللغة والحارة مجموعة المساكن أو كما عبّر عنها أهل اللغة هي كل " محلّة

الحدائق الناضرة " للشيخ يوسف البحراني، طبع ايران ١٣١٦هـ.

(١) ج٥ / ص٣٠٣-٣٠٤.

تدانت مساكنها". فيُرى من ذلك أن الحائر لغةً وعلى الأخص في هذا المورد إسمٌ للبناء لا لشيء آخر وهو ما يذهب اليه الكتب الدينية ايضاً، لأن حائر الحسين عليه السلام، على قول الطريحي في مجمع البحرين، هو " ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرفه السلام". ومثل ذلك قول إبن ادريس صاحب " كتاب السرائر " في تحديده للحائر ويعني به حائر الحسين بكربلاء بأنه: " ما دار سور المشهد والمسجد عليه دون ما دار سور البلد عليه ". وقد أيّد المجلسي هذا القول في " بحار الانوار " بأن: "ذهب البعض الى أن الحائر مجموع الصحن المقدس، وبعضهم الى أنه القبة السامية، وبعضهم الى انه الروضة المقدسة وما أحاط بها من العمارات المقدسة من الرواق والمقتل والخزانة وغيرها. والأظهر عندي أنه مجموع الصحن القديم لا ما تجدّد منه في الدولة الصفوية شيّد الله اركانهم. والذي ظهر لي من القرائن وسمعته من مشايخ تلك البلاد الشريفة انه لم يتغير الصحن من جهة القبلة ولا من جهة اليمين ولا من جهة الشمال، بل زيد من خلاف جهة القبلة. وكلما انخفض من الصحن وما دخل فيه من العمارات فهو الصحن القديم وما ارتفع منه فهو خارج عنه. ولعلهم انما تركوه كذلك ليتمايز القديم من الجديد، والتعليل المنقول عن ابن إدريس (ره) ينطبق على هذا وفي شموله

لحجرات من الجهات الثلاث إشكال"[١].

أما السبب في تسميته بالحائر، فان ما يستدل من ظاهر القرائن بأن هذا الاسم في القديم كان يُطلق عادةً على كل بناء عام لغرض الايواء أو الاجتماع أو كلاهما معاً. وقد عدّ المؤرخون والجغرافيون أماكن كثيرة بهذا الاسم كما سبق وباسم الحَير أحيانا كما أشار اليه الطبري بأن بخت نُصّر الملك الكلداني كان قد أسس بالحيرة " حَيراً " على نحو سوق محلي لتجّار العرب[٢].

ومثلما جرت العادة في هذا العصر أن يُسمى البناء بـ " صحن الحسين " حيناً، و" حرم الحسين " بعضاً، و" جامع الحسين " تارةً، و"الروضة أو الحضرة الحسينية " تارةً أخرى وهي تعابير مستحدثة وُجدت بالتدريج على مرّ الأيام والعصور وما كانت معروفة في أول العهد. ولذلك فانهم كانوا ينعتونه في ذلك العهد بـ " حائر الحسين" أو "الحائر الحسيني" كما يُستفاد ذلك من أقوال اللغويين والمؤرخين، فتجد معجم البلدان يقول: " والحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه"، " انهم

(١) راجع: الحدائق الناضرة للشيخ يوسف البحراني: ج٢ / ص٣٤٥-٣٤٦، طبع ايران ١٣١٦هـ.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية باللغة الفرنسية. باريس، في مادة Hair، والطبري ج١ / ص٢٩١ ، ومعجم البلدان: ج٣ / ص٣٧٦- ٣٧٨.

يقولون الحَير بلا إضافة اذا عنوا كربلاء " ومثله قول " لسان العرب " والحائر كربلاء، أو الصحاح : " ومنه الحَير بكربلاء " الى غير ذلك من الأقوال الكثيرة.

ولمّا شيدوا البناء على المرقد الشريف اطلقوا عليه إسم الحائر لأنه لم يتسنّ أن يُسمى باسم آخر، إذ أنه لم يكن بمسجدٍ – حسب الموازين – حتى يُسمى مسجداً، أو جامع ليُسمى جامعاً. فكان من الطبيعي ان ينحصر الامر في تسمية تناسب الوضع اذ ذاك فسُمي بهذا الاسم الذي يرجع عهده كما أسلفنا الى بعد الوقعة مباشرةً. ولعله كان من المألوف إطلاق مثل هذا الاسم على هذا النوع من البناء في ذلك العصر، أو لعلّهم بإطلاق هذا الاسم المتواضع البسيط على قبر الحسين عليه السلام أرادوا التكتم والتستّر كي لا يثيروا الشبهة فتتحرك ضغينة الامويين ونقمتهم العمياء على الزائرين فيصبحوا مورد الاضطهاد والمعاقبة الشديدة من ناحية الأمويين في ذلك الدور الارهابي العظيم من تاريخ الاسلام.

ويؤيد هذا القول ما أورده المفيد في " المزار " عند ذكره لرواية صفوان بن مهران بأن : " فاذا أتيت باب الحائر فقف، ثم تأتي باب القبة فقف من حيث يلي الرأس، ثم اخرج من الباب الذي عند رجلي علي

بن الحسين ثم توجه الى الشهداء[١]. يظهر من ذلك ان باب الحائر يعني باب المحوطة او السور الذي محيط بالقبر الشريف".

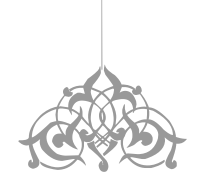
أما اليوم، فبخلاف ما كان عليه في دور الجحود من العصر الأموي فقد كثرت الاسماء التي يُنعت بها قبر الحسين عليه السلام بالتفخيم والاجلال فهو والمراقد المشرفة الأخرى لأئمة العرب الخالصين من آل هاشم في النجف والكاظمية وسامراء يُعبّر عنها في العرف والرسميات بـ " العتبات المقدسة " إظهاراً لما حازه أئمة الحق والهُدى على مرّ الأيّام من الحُب والتقدير والاحترام في قلوب المسلمين كافة.

أما القول بإطلاق اسم الحائر على القبر المطهر لأن الماء كان قد حار في هذا الموضع عندما أمر المتوكل العباسي بإطلاق الماء عليه بعد الهدم فعُرف منذ ذلك الحين بالحائر[٢] فانه قولٌ فيه نظر، لانه لا يتّفق والروايات الواردة عن الصادق عليه السلام وفيها ذكر الحائر كما سبقت الاشارة اليها، مع العلم أن بين عصر الصادق وبين المتوكل بون بعيد. ولعلّ هذا القول في الحائر يكون بمثابة وضع ثانوي لهذا الاسم فلا ينافي وضعه الأول على ما ذُكر.

---

١) أعيان الشيعة: ج٤ /ص٣٠٣.

(٢) الحدائق الناضرة: ج٣/ ص٣٤٥-٣٤٦.



التحقيق في الحائر والحَير تاريخياً

لم يرد في التاريخ أو الحديث ذكر لكربلاء بإسم الحائرِ أو الحير من قبل وقعة الطف أو أثناءها أو بعدها بزمن يسير. إذ ان الاحاديث النبويّة المنبئة بقتل الحسين بأرض العراق تضمنّت كل الاسماء عدا اسم الحائر.

فمنها ما ورد فيه اسم كربلاء، واسم نينوى والطف وارض الطف وشط الفرات وشاطئ الفرات، ولا واحد منها ورد فيه اسم الحائر او الحير مع انها جاءت بأسماء هذه الأرض كلها.

وعندما مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بكربلاء في طريقه الى صفّين ووقف هناك وبكى ذاكراً مصرع ابنه الحسين واصحابه في تلك الأرض لم يرد ايضاً ذكر لاسم الحائر او الحَير في هذا الخبر.

ولما وصل الحسين عليه السلام نفسه الى هذه البقعة واجتازها قريةً فقرية وسئل عن إسم كل واحدة منها، فذكروا له إسم نينوى

والغاضرية وشُفَيّة والعقر وكربلاء وغيرها ولم يرد ذكر لإسم الحائر أو الحَير في عداد تلك الاسماء المختلفة الكثيرة.

ومن يوم نزول الحسين بكربلاء في الثاني من محرم سنة احدى وستين الى يوم العاشر منه يوم الوقعة لم يرد في الأخبار المتعلقة بها أي ذكرٍ، أو على الأقل أي إشارة ولو خفية الى إسم الحائر. وثم من سوق الاسارى والسبايا الى الكوفة فإلى الشام، ثم رجوعهم من الشام ومرورهم بكربلاء في طريقهم الى المدينة لم يرد أيضاً أي ذكر أو إشارة الى اسم الحائر بدلاً عن إسم كربلاء في الاخبار والروايات المتعلّقة بتلك المدة.

ثم وان الروايات المأثورة من السجّاد والباقر عليهما السلام لم نجد فيها ذكراً لإسم الحائر أو الحَيرْ. ولم يرد ذكر الحائر إلاّ في السنوات الأخيرة من الدولة الأمويّة، فيظهر لأول مرة في مثل حديث الحسين ابن أبي حمزة الذي زار قبر الحسين عليه السلام في آخر زمن بني أمية(الاقبال لابن طاووس ص٥٦٨) أو في بعض الأخبار المروية عن الصادق عليه السلام في مثل هذا الوقت أو بعده في فضيلة زيارة الحسين.

ويُستدل من ذلك كله ان إسم الحائر ليس قديماً، وانه اسم حادث لم يكن معروفاً، ولا يرتقي عهده الى قبل الاسلام، ولا إلى عصر النبوة،

ولا الى حين وقعة الطف، ولا في زمن السجاد والباقر في القرن الاول الى الشطر الأول من القرن الثاني من الهجرة الى وفاة الباقر عليه السلام في سنة ١١٤ وإنما ظهر هذا الاسم لأول مرة لتعيين قبر الحسين من بعد عام ١٢٥ كما سبق في حديث الحسين ابن أبي حمزة وفي بعض روايات الصادق. وهذا ما يدعو الى السؤال عن سبب ظهور هذا الاسم لكربلاء في مثل ذلك الوقت؟

قد لا يكون من السهل البت في قضية مضى عليها اكثر من الف ومائتين واربعين سنة. ولكن التاريخ أمر لا يمكن إغفاله وهو لا يقصر عن تقديم الادلّة أحياناً. فاذا ما أمعنا النظر بصورة واسعة في عصر الصادق عليه السلام وما ورد عنه في الأحاديث أو ما ورد في هذا العصر من الاخبار بطرق أخرى في الموضوع، نجد أن إسمي الحائر والحَيرْ يظهران لأول مرّة في التاريخ في هذا العصر فيصبح كل واحدٍ منهما من ذلك الحين فقط معروفاً وشائعاً في كل من التاريخ والحديث ويحشران ضمن غيرهما من الأسماء المختلفة التي كانت تتعيّن بها كربلاء الى ذلك الوقت. ومع هذا كله، لم يظهر إسم الحائر والحَيرْ في مبدأ الأمر لتعيين كربلاء وقبر الحسين عليه السلام إلاّ بصورةٍ تدريجيّة، إذ لم نجد لهما أثراً إلاّ في البعض من الروايات التي وردت عن الصادق عليه السلام في فضيلة زيارة

الحسين والحثّ عليها لا في كلها [١]، الأمر الذي يدّل على أن إسم الحائر الى ذلك التاريخ لم يكتسب تلك الصفة القطعيّة ليكون علماً لقبر سيّد الشهداء كما أصبح له مثل هذه الصفة تقريباً من بعد الربع الأول من القرن الثاني من الهجرة، وذلك الى حين يحدّثنا فيه الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي بحديث شخوصه من الكوفة الى زيارة الحسين عليه السلام في آخر زمن بني أميّة وفيه تطرق مراراً الى ذكر الحائر وباب الحائر. وهذا الحديث يرجع عهده – حسب القرائن – الى بعد الربع الأول من القرن الثاني لانقراض الدولة الأموية في عام ١٣٢ من الهجرة. وبناءً على ذلك فإن ظهور إسم الحائر والحَيرْ لم يسبق القرن الثاني فيما نظن، ولعله من نتاج الربع الأول من هذا القرن وعلى كل حال من بعد وفاة الباقر عليه السلام في عام ١١٤ من الهجرة لخلو الاحاديث من إسم الحائر او الحَير الى هذا التاريخ.

ولم يتّصف قبر الحسين عليه السلام بـ " الحائر " إلاّ بعد أن شُيّد عليه البناء من سقيفة وقبة، ثم أحيط البناء من أطرافه بسورٍ خارجي يبعد عن البناء بمسافةٍ من كل جانب على شكل قلعةٍ أو حصنٍ كان الغرض

---

(١) وللتثبت من ذلك يمكن الرجوع الى الروايات الواردة في الموضوع عن الصادق عليه السلام في " كامل الزيارة " لابن قولويه.

منه في بداية الأمر حسب الظاهر محافظة البناء القائم في وسطه من الطوارئ الخارجية لاسيّما أثناء الليل بحيث لا يستطيع أن يلج اليه أحدٌ إلاّ بعد إجتياز المدخل الرئيسي لهذا السور ثم قطع الفناء التي تفصل الحرم عنه، وبذلك كانت تسهل مراقبة من يدخل الروضة أو من يخرج منها في تلك الظروف الدقيقة الحرجة من العهد الأموي.

وهذا البناء بهذا الشكل وبهذه الكيفيّة، على ما يُستنتج من البحث والتمحيص، هو الذي سُمّي بالحائر في أول عهده. ولا نظنّنا نبتعد عن الواقع بهذا التعبير بل نظن أننا قد اقتربنا الى الحقيقة به.

لأنّه على قول "لسان العرب" يُقال " لهذه الدار حائرٌ واسع " والحائر الواسع في هذا المورد ليس إلاّ ما يدور حسب الظاهر حول الدار، وهو السور الذي يحيط بها من اطرافها. وبهذا التقريب يتّفق مدلول الحائر مع تعبير أهل اللغة بأنه " الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف" والأماكن المسوّرة مثل هذه الصفة ايضاً وسطها مستوٍ واطرافها مرتفعة.

فالحائر إذن في عُرف ذلك العصر هو السور الذي كان يحيط بالقبر المطّهر حرماً له وصوناً للمشهد، ولربما أيضاً بمثابة مأوى للمنقطعين من الزوّار كما جرت فيما بعد مثل هذه العادة الى الآن في هندسة العتبات

المقدّسة بتزويد سورها الخارجي بحجرات في أطرافه لمثل هذه الغاية.

وقد يجد هذا التعليل لإسم الحائر مصداقه في أقوال رجال الدين منه قول ابن إدريس في كتاب " السرائر " بأن الحائر هو " ما دار سور المشهد والمسجد عليه ". ثم قضى الاستعمال بصورة تدريجية أن يطلق عليه إسم الحائر على السور وما يتضمنه السور في داخله على سبيل إطلاق إسم الظرف على المظروف فعُرف الكل بالحائر كما يُفهم من أقوال المتأخرين مثل الطريحي في " المجمع " بأن الحائر: " ويُراد به حائر الحسين عليه السلام وهو ما حواه سور المشهد الحسيني على مشرّفه السلام ".

وعلى كل حال، فان إسم الحائر – كما قلنا – حديث العهد من بعد الوقعة بزمن يتعدّى القرن الأول الى القرن الثاني، إذ لم يرد له ذكر الى زمن الباقر عليه السلام ولم يظهر إلاّ في زمن الصادق في بعض الروايات المرويّة عنه لا كلها وذلك بصورة الإجمال والإيجاز في جُمل صغيرة مثل: " وكلما دخلت الحائر فسلّم " أو " كما قلت حين دخلت الحائر " التي وردت في رواية سعدان بن مسلم الكوفي في ثقاة الأصحاب[1]. أو مثل: " فاذا أتيت باب الحائر" في رواية أبي

(١) كامل الزيارة: ص٢١٩.

الصامت[١]. أو مثل ما ورد في رواية أبي حمزة الثمالي: " فاذا أتيت الباب الذي يلي المشرق فقف على الباب وقل... ثم تدنو قليلاً وقل...[٢] ثم ادخل الحائر وقل حين تدخل[٣]... ثم إمش وقصّر خطاك حتى تستقبل القبر[٤].... ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء وتومئ اليهم أجمعين وتقول [٥].. ثم دُر في الحائر وأنت تقول... "[٦]. وهذه الفقرة الأخيرة من رواية أبي حمزة الثمالي في آداب زيارة الحسين عليه السلام بأن على الزائر بعد تطوافه وزيارته للقبر المطّهر تحت السقيفة أن يخرج من السقيفة ويقف بحذاء قبور الشهداء خارج السقيفة ويومئ اليهم أجمعين وهو يقول، ثم بعد ذلك يدور في الحائر ويقول كذا وكذا من الدعاء فان نفس هذه الفقرة تؤيد ما ذهبنا اليه بأن الحائر هو ما كان يحيط بسقيفة الحسين وبقبور الشهداء من جدار أو سور كان بمسافة عن المشهد ويدور حوله من جوانبه بحيث

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٢١.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٢٩.

(٤) المصدر نفسه: ص٢٣٠.

(٥) المصدر نفسه: ص٢٤٢.

(٦) المصدر نفسه: ص٢٤٣.

يتمكن الزائر من أن يدور في الحائر حول المشهد الشريف على وضع الرواق او الصحن بالنسبة الى الحرم المطّهر في هذا اليوم.

والحَيرُ وإن كان بالأصل مخفّف الحائر كما يذهب اليه أهل اللغة كالحَرث والحارث، والمخفّف يؤدي عادةً نفس المعنى الذي يُودّيه المخفّف عنه، غير أن العُرف واستعمال التاريخ كأنهما خالفا القاعدة في هذا المورد لاختلافٍ ظاهرٍ في مدلول اللفظين وكيفية إطلاقهما. لأن الحَير في الاستعمال اصبح – حسب الظاهر – علماً لمدينة كربلاء بينما صار الحائر علماً لقبر الحسين عليه السلام، كما يفهم ذلك من إطلاق المؤرخين والجغرافيّين لهما، فمن ذلك قول معجم البلدان: " الحائر قبر الحسين بن علي رضي الله عنه. وانهم يقولون الحَير بلا إضافة إذا عنوا كربلاء ". ومفاده ان الحَير بذاته علمٌ لكربلاء نفسها دون الحاجة الى تعريفه بالإضافة، مما يدّل بانّهما وإن كانا من أصلٍ واحد وان أحدهما هو مخفّف الآخر إلاّ انهما في الاستعمال ليسا بمترادفين وليس لهما مدلولٌ واحد. لأن الفرق بينهما في الدلالة كالفرق في هذا اليوم بين كربلاء وبين حرم الحسين. لعل من يقصد كربلاء دون أن يقصد حرم الحسين فيها وبالعكس.

ولم تتصف كربلاء بالحَير– على ما يظهر – إلاّ بعد أن تمصرت

فتكّونت فيها البيوت والأسواق والطريق كما يمكن أن يُستفاد هذا المعنى لكلمة الحَير قياساً على ما رواه معجم البلدان من معاملة بخت نُصّر لتجار العرب بأنّه " جمع من ظفر به من تجار العرب وبنى لهم حَيراً على النجف وحصّنه ثم جعلهم فيه"[١]. وفسّرت دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية معنى هذا الحير بأن " بخت نصّر بنى هناك لتجار العرب حَيراً أي محلاً على نحو سوقٍ محلي جمعهم فيه "[٢]. ففي الحَير إذن مفهوم العمران والسكان، ومعنى المدينة ذات الأسواق والتّجمع.

وما أقربنا بهذا المدلول الاصطلاحي التاريخي لكلمة الحَير من مُؤدّاه اللغوي الذي يعطينا اللغويون بقولهم: "والحَير بالفتح: شبه الحضيرة، والحِمى، والبستان، ومنه الحَير بكربلاء"[٣] وفي كل هذه المعاني تتغلغل روح الحياة والعمران، ففي الحضيرة مفهوم التّجمع واجتماع الأقوام، والحِمى هو ما يُحتمى به ويُدافع عنه في الملمات كالبيت والبلد والموطن، والبستان أرض أدير عليها جدارٌ وفيها شجر وزرع، ولا يخلوا مثله من أناس يسكنونه ويعيشون فيه.

(١) راجع " معجم البلدان " في لفظ الحيرة: ج٣/ص٣٧٦-٣٧٨.

(٢) راجع "دائرة المعارف الاسلامية الفرنسية " في مادة – حائر-

٣) راجع "الصحاح" وغيره من المعاجم.

ثم " ومنه الحَير بكربلاء " أي من هذا النوع هو الحَير الذي بكربلاء. ومتى ما أطلق إسم " الحَير " على كربلاء لابدّ وأن كربلاء آنذاك كانت عامرة بالأسواق آهلة بالسُكان. فمبدأ عمران كربلاء قديماً بالتجارة والأهلين لمدينة يقترن حسب الظاهر بمبدأ إطلاق إسم الحَير عليها. واذا ما أردنا أن نعرف مبدأ عمرانها الحقيقي وبدأ حياتها الاجتماعية والإقتصادية والسياسية يجب أن نعرف على الأقل مبدأ إطلاق هذا الإسم عليها.

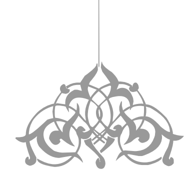
ولا نريد بذلك نفي كل حياةٍ او حركةٍ أو تجارةٍ أو عمران في كربلاء قبل تسميتها بالحَير، وإنّما أتّصفت كربلاء بالحَير حين أن تمصّرت فأصبحت مدينة ذات شأن.

لأن في الأخبار ما يدّل على أنها تواً بزمنٍ يسير من بعد الوقعة أصبحت محطّ الرحال ومحطة التجارة والقوافل نظراً لموقعها بين المناطق الغنيّة بالحاصلات ولما نالته سريعاً من الشهرة الواسعة ومن إقبال الناس على زيارتها. ومن ذلك ما رواه سبط ابن الجوزي عن السُدي انه قال: " نزلت بكربلاء ومعي طعام للتجارة. فنزلنا على رجلٍ فتعشينا عنده، وتذاكرنا قتل الحسين عليه السلام وقلنا ما شرك أحدٌ في دم الحسين إلاّ ومات أقبح موتة. فقال الرجل ما أكذبكم، أنا شركت في دمه، وكنت

فيمن قتله وما أصابني شيء، فلما كان آخر الليل اذا بصياح، قلنا ما الخبر؟ قالوا قام الرجل يصلح المصباح فاحترقت إصبعه ثم دبّ الحريق في جسده فاحترق. قال السُدّي فأنا والله رأيته كأنه حِمَمه "[١]. وهذا الخبر صريح في أن كربلاء من بعد وقعة الطف كانت مأهولة وكانوا يتعاطون فيها التجارة.

---

(١) أعيان الشيعة: ج٤/ ص ٢٩٧.



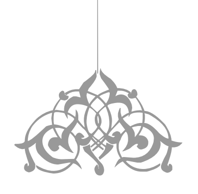
مشهد الحسين عليه السلام

وقد بقي إسم الحائر طيلة أعوامٍ كثيرة من بعد وقعة الطفّ هو الأسم الوحيد السائد الذي يُلهم البطولة للأحرار، ويُوحي الفضيلة للأبرار، ويثير الحزن في نفوس المسلمين، ويلهب الشوق في قلوب المحبين، حتى أصبحت كربلاء نفسها تعرف، على سبيل إطلاق اسم الجزء على الكل، بالحائر أو الحَير كما مرّ معنا فيما سبق. فبقى الحائر علماً لمرقد الحسين عليه السلام طول عهد الإرهاب من الحكم الأموي. ولما انقرضت الدولة الأموية فانقشعت برهةً من الزمن الغيوم المتلبدّة على الأفق بعودة بعض الطمأنينة الى النفوس بتأسيس الدولة العباسية صار يُرافق اسم الحائر إسمٌ آخر فيه صراخ وانكار، وظلامة واستصراخ فصار يتغلب على الحائر إسم " مشهد الحسين " حيث أستشهد السبط وأريقت دماؤه ودماءُ آله وذويه من العترة الطاهرة ظلماً وعدواناً في ساحة هذه

الأرض على يد آل أبي سفيان.

وكان هذا الاسم صيحة عدلٍ وصرخة حقٍ أخذ يدّوي صداه في الآفاق فيذّكر المسلمين من جديد بما ارتكبته عصابة السُوء التي حاولت القضاء على الاسلام. فكان هذا الاسم " مشهد الحسين " على إجماله واختصاره رواية واقعية ودعاية مؤثرة قوية للقضية يذّكر المسلمين في مختلف أقطار الأرض، فيُعيد مرةٌ أخرى الى أذهاهم ويصوّر أمام أعينهم تلك الفاجعة العظمى التي أصيب به الإسلام في صميمه. ثم يذّكرهم بالشهادة وما للشهادة من مقامٍ محمود عند الله، وأن الشهادة للأبرار والصالحين، لا سيما وأن الشهيد هو الحسين سبط النبي الذي ضحّى بنفسه في سبيل احياء الدين.

فتغلّب إذ ذاك إسم " مشهد الحسين " على إسم الحائر والحَير الذي بقى حيناً من الدهر يدّل على كربلاء في شيء من التستّر والتكتّم، والحيطة والتحفّظ من جلب انظار الاعداء اليها. فأصبحت كربلاء بعد ذلك تُعرف بهذا الاسم الذي وجد رواجاً عظيماً في قلوب المحبين وعطفاً متزايداً في نفوس المسلمين.



كربلاء

أما كربلاء، فهي – كما أسلفنا – أشهر أسماء هذه البقعة قديماً وحديثاً، وأكثر من غيرها انطباقاً وإشتمالاً عليها، إذ أنها كانت تُعرف بهذا الاسم قبل الفتح وبعده وإلى يومنا هذا. وقد نزلها خالد عند فتحه الحيرة وهي معروفة بهذا الاسم. ولما مرّ بها أمير المؤمنين عليه السلام عند مسيره الى صفين – كما يحدثنا ابن حجر في الصواعق – و"حاذى قرية نينوى على الفرات توقف وسأل عن الارض، فقيل: كربلاء، فبكى حتى بلّ الأرض من دموعه، ثم قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يبكي، فقلت: ما يُبكيك؟ - قال: كان عندي جبرئيل آنفاً، وأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء.... "(١).

ومما يؤيد تسميتها بهذا الاسم قبل الوقعة قديماً ما ورد ايضاً في "

(١) الصواعق لابن حجر: ص١١٥

منتخب كنز العمال " عن شيبان بن محرم قال: " إني لمع عليٍ إذ أتى كربلاء فقال: يُقتل في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر"[١]. وأما بعد الوقعة فلا خلاف في اشتهارها بهذا الاسم والتاريخ متفق على ذلك. فمن ذلك ان ابن الأثير يقول في الجزء الثاني من " أسد الغابة ": قتل الحسين عليه السلام بكربلاء من أرض العراق وقبره مشهور يزار. ومثله في " التنبيه والاشراف " للمسعودي، ص٦٣، حيث يقول: ودُفن بكربلاء من أرض العراق وله سبع وخمسون سنة.

ومثل ذلك ما ورد في " مراصد الاطلاع" بأن: " كربلاء بالمد هو موضع الذي قتل فيه الحسين بن علي عليهما السلام في طرف البريّة عند الكوفة على جانب الفرات"[٢].

وقد ذهبوا في وجه تسميتها بهذا الاسم مذاهب شتى، فمنهم من إعتقد بان الكلمة عربية الأصل، ومنهم من زعم بانه يرجع الى اصل بابلي قديم طرأ عليه التحريف والتصحيف بمرور الزمن إلى ان استقر على وضعه الحاضر. فمن ذلك ان ياقوت في " معجم البلدان " جوّز لهذه الكلمة وجوهاً عدّة من أصلٍ عربي زعم انها مشتقة في كل حال من

---

(١) أعيان الشيعة ج٤ / ص١٤٣

(٢) مراصد الاطلاع: ص٣٣٦، طبع ايران ١٣١٥هـ.

أحد هذه الاصول الأربعة وهي: كَربَلَة، وكَربَلَ، وكَربَلْ، وكربٍ وبلاء.

وكَربَلَة – كما يفسرها ياقوت – هي رخاوة في القدمين، من قولهم: جاء مُكَربَلاً: أي جاء يمشي في الطين من كَربَلَ الرجل إذا مشى في الطين وخاض في الماء. وبناءً على ذلك، يجوز في نظره بأن " تكون أرض هذا الموضع رخوة فسُمّيت بذلك" لأن القدم لا يثبت فيها. ثم يذهب الى القول بانها قد تكون مشتقة من فعل " كَربَلَ " بمعنى غربَلَ من قولهم: كَربَلت الحنطة اذا هزتها ونقيّتها" على قول الشاعر:

يحملن حمراء رسوباً للثقل   قد غُربِلَت وكُربِلت من الفَصَلْ

فيجوز في نظره أن " تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسُمّيت بذلك".

وفي الثالث يَرى ياقوت بأنها قد تكون مشتقة من " الكَرْبَلْ " وهو إسم " لنبت الحُمّاض " أو أنه – على تعبير أقرب الموارد – نبات له نَورٌ أحمر مُشرق، قد " يكون أن هذا الصنف من النبت يكثر نبته هناك فسُمّي به". وفي الأخير يرى بان الكلمة قد يجوز أن تكون منحوتة من كلمتي: " كرب – و– بلاء " أدمجتا في كلمةٍ واحدة بعد حذف إحدى البائين، ولتقريب هذا المعنى الى الذهن يأتي بخبر مقدم الحسين عليه السلام الى كربلاء وسؤاله عن إسم الارض وتأويله لها، بأن: " رُوى أن

الحسين رضي الله عنه لما أنتهى إلى هذه الأرض قال لبعض أصحابه: ما تُسمّى هذه القرية وأشار إلى العَقْر؟ - فقال له: إسمها العَقْر. – فقال الحسين: نعوذ بالله من العَقْر. ثم قال: فما إسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ - قالوا: كربلاء. – فقال: أرضُ كربٍ وبلاء. وأراد الخروج منها فمُنع كما هو مذكور في مقتله حتى كان منه ما كان". وقد ذهب ياقوت الى نحت الكلمة من " كرب وبلاء " لتأويل الحسين لها حسب الظاهر كما قلنا. وبعد أن أكمل بحثه في لفظة كربلاء أورد ياقوت البيتين التاليين اللذين رثت بهما الحسين عليه السلام زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بقولها:

واحسيناً فلا نسيت حسيناً — أقصدته أسنّة الأعداءِ

غادروه بكربلاء صريعاً — لا سقى الغيث بعده كربلاءِ

فمهما يكن من أمرٍ، كانت كربلاء مشتقة من " كَرَبَلَة " بمعنى المشي في الطين والخوض في الماء، أو الرخاوة في القدمين: كنايةً عن أرض رخوة وكثيرة الأوحال. أو من مادة " كَرَبَلَ" بمعنى تهذيب الحنطة وتنقيتها. كنايةً عن أرضٍ منقاة من الحصى والدغل. أو من إسم " الكَرَبَلْ " أي نبت الحُماض لإحتمال كثرة نبته في هذه البقعة، لم نعلم مع ذلك على أي قياسٍ كانت قد إشتقّت منها هذه الكلمة، أو على أي

صيغة عربية صيغ هذا الاسم ليدل على معنى أحد الوجوه المذكورة؟

أضف الى ذلك أنه لم يُوجد لهذا الاشتقاق من القرائن في اللغة، وان وزن " فَعْلَلاَ " بفتح أوله وزن غير معروف وانما يأتي هذا الوزن بالضم مثل " قُرفصاء " وما أمكن أن يقال من التعليل لاشتقاق لفظة " كربلاء " بالألف الممدودة قد لا ينطبق على " كربلا " بالألف المقصورة التي تلفظ " كَربَلَه " بتفخيم اللام وتقع على مسافة ميل واحد تقريباً في الجنوب الشرقي من المدينة، وما أقل من أشار من المؤرخين الى هذا الفرق بين الإسمين بان احدهما بالألف المدودة والآخر بالألف المقصورة. والحالة ان كلاهما مشتقان حسب الظاهر من أصلٍ واحد، وصاحب معجم البلدان نفسه مع ما أبداه من العناية والاهتمام الفائق لإرجاع الكلمة إلى أصلٍ عربي بالنتيجة تركها وشأنها دون أن يرشدنا الى كيفية صوغها من تلك الاصول المزعومة.

وأما القول بنحتها من كلمتي " كرب وبلاء " فهو بعيد الإحتمال وليس إلاّ من قبيل التجانس اللفظي، أو التطيّر والتشاؤم لاشتمالها على حروف أجزاء تلك الكلمتين كما تطير الحسين عليه السلام عند سماعه اسم العقر أو كما تطير منها أمير المؤمنين فيما رواه نصر بن مزاحم المنقري في كتاب صفين بسنده: أن علياً عليه السلام أتى كربلاء، فوقف

بها، فقيل يا أمير المؤمنين هذه كربلاء. فقال: ذات كربٍ وبلاء، ثم أومأ بيده الى مكان فقال: هاهنا محّط رحالهم، ومناخ ركابهم. وأومأ بيده الى موضع آخر فقال: ها هنا مهراق دمائهم[1]، وقد يمكن أن تكون الكلمة من الوجهة التاريخية عربية الأصل وإن عز الوصول الى كيفية إشتقاقها وصوغها، لأن هذه البقعة من الفرات الأوسط وعلى إمتداد مجراه إلى البصرة فالخليج هي، من قبل الفتح الاسلامي على عهد التنوخيّين واللخميين في الحيرة ثم من قبلها بزمنٍ بعيد في التاريخ من عهد بخت نصر الملك الكلداني وقبله، عربية محضة وعريقة في العروبة منها قامت الحركة التحريرية من نير الاجنبي والاستعمار منذ العصر الأول الى العصر الحاضر؛ في عهد النبي بوقعة " ذي قار " وفي هذا العصر بثورة الفرات، وكانت آهلة بالقبائل العربية المختلفة مثل العِباد، وتميم، وقضاعة، ومَذْحَج، وحِمير، وطيء، وكلب، وبني شيبان، وبني بكر وغيرها ومن الفرات انتشرت العرب بعد الفتح.

وقد ذهب البعض أخيراً الى أن " كربلاء " كلمة عربية منحوتة من كلمتي " كُور بابل " عمل التصحيف فيها عمله فأصبحت تلفظ بمرور الزمن كربلاء. إذ أن " كُور " المضاف الى بابل هو – في نظرهم – بمعنى

---

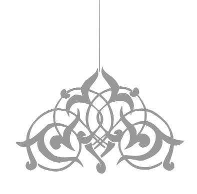
(١) أعيان الشيعة: ج٤ / ص١٤٣.

مجموعة من قرى وقصبات سُمّيت بهذا الأسم لأنها كانت تابعة لبابل[(١)].

على أن هذا إستخراج بعيد وغير مستندٍ الى أدلةٍ تاريخية أو لغوية، وهو استنتاج ذوقي محض. والحالة أن كُور (على وزن نُور) هو في اللغة بمعنى الرَحْل لا بمعنى القرى كما ظنوا، وإنّما " الكُورة " التي جمعها كُوَرْ (بضم الأول وفتح الثاني والسُكون) هي التي تُفيد معنى المدينة والصقع أو البقعة التي يجتمع فيها القرى والقصبات. وزعم آخرون أن " كُور بابل " نفسها كلمة بابلية بمعنى " قرية بابل " من كثرة الاستعمال صارت كربلاء. وأساس هذا الزعم هو ما وجدوه – حسب الظاهر – من التشابه اللفظي بين كلمة " كُور " التي ظنوها بابلية الأصل وبين كلمة " قرية " العربية. على أن الآراء المتقدمة لم تستقم – كما رأينا – مع الواقع، وكربلاء إن كانت منحوتة عن اصلٍ بابلي قديم فلنبحث إذن عن ذلك الأصل بما يتفق مع القرائن التاريخية وقواعد التعريب، على الأخص بعد أن أعيت القرائح أن تثبت لها أصلاً عربياً يطمئن اليه.

---

(١) راجع: " نهضة الحسين " لهبة الدين الحسيني، الطبعة الثانية بغداد ١٣٥٦هـ، ص٨٠؛ وكذلك: " ابو الشهداء " للعقاد، طبع مصر، ص١٥٣؛ وكذلك راجع " مجالي اللطف بأرض الطفّ " للشيخ محمد السماوي، طبع النجف ١٣٦٠هـ، ص٤؛ راجع ايضاً "موجز تاريخ البلدان العراقية " للسيد عبد الرزاق الحسني ، الطبعة الثانية صيدا ١٣٥٢ -١٩٣٣ص٦١



كربلاء محراب الإله أو حرم الله

والآن سينتهي البحث بنا بعد إستعراض الآراء المتقدمة الى تعليل آخر لإسم كربلاء ولأصلها في التأريخ. ولا شك في أن هذا الاسم يرجع عهده إلى قبل ظهور الإسلام كما سبق، ولعله يرجع أيضاً إلى زمن بعيد قبل إستيلاء الفرس والاسكندر المقدوني وكورش الفارسي على العراق، أي إلى عهد البابليين أنفسهم يوم كانت هذه البقاع كلها تابعة لحكم بابل فكانت اسماؤها بطبيعة الحالة بابلية، فاحتفظت القديمة منها بالأسماء البابلية مثل: نينوى أو مارية والفرات[1]، وسُمّيت

---

(١) جاء في " معجم البلدان " عن حمزة: ان الفرات معرّب عن لفظه وله إسم آخر وهو " فالاذ روذ " لأنه بجانب دجلة كما بجانب الفُرس " الجنيبة " والجنيبة تُسمّى بالفارسية " فالاذ ". والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه قال عزّ وجل: " هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أجاج "... ثم يقول في فضيلة ماء الفرات بأنه رُوى: أن أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق شرب من ماء الفرات ثم إستزاد وإستزاد، فحمد لله وقال: نهرٌ ما أعظم بركته، ولو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القُباب، ولو لا ما يدخله من الخطائين ما إغتمس فيه ذو ←

المستحدثة منها بأسماء جديدة أطلق عليها سكانها العرب مثل الغاضرية نسبة إلى الغاضرة من بني أسد من القبائل العربية التي كانت تسكن هذه الجهات قبل الفتح الاسلامي بزمنٍ بعيد.

وكربلاء هي من تلك البقاع التي إحتفظت بإسمها البابلي القديم بالرغم من التطورات الحادثة فخضع الاسم فيما بعد على عهد العرب النازحين إلى طفّ الفرات لبعض التحوير والتصحيف تبعاً لقواعد تعريب الأعلام والألفاظ الدخيلة في اللغة العربية حتى أصبح بالتدريج يلفظ " كربلاء " وهذا التصحيف هو جعل الذي اللغويين والجغرافيين يظنّون بأنّه مشتّق من أحد الأصول الأربع العربية المار ذكرها[١].

ومما لا شك فيه أن كربلاء كلمة بابلية في الأصل ولا صلة بينها وبين اللغة العربية بوجهٍ من الوجوه كما زعمه المؤرخون والجغرافيون فيما سبق من آرائهم بهذا الصدد، ولا يمكن التعويل في هذه الناحية إلاّ على العلم الحديث، فان علم الآثار القديمة أثبت بأن هذه الكلمة من أصل بابلي قديم، إذ " ذهب الأثريوّن المبرزون أن كربلاء قديمة العهد، وكان البابليون قد أقاموا فيها هيكلاً لآلهتهم ودعوها " حرب إيل " أي

عاهةٍ إلا برأ.

(١) راجع الصفحات السابقة من هذا الكتاب.

محراب الإله "[١].

فالكلمة إذن هي " كلدانية معناها " حرم الله " وهذا القول هو أقرب الى الصحة من غيره، لأنه كان في تلك الديار معبود وله حرمٌ فسُمّي المحل باسم الهيكل"[٢]. والأمر الظاهر من مقارنة هذه الأقوال والآراء هو أن كربلاء كلمة كلدانية أي بابلية الأصل على كل حال، وأنها مركبة من كلمتي " حرب " بمعنى الحرم أو المحراب، و" إيل – أو – إيلا " بمعنى الإله. فتكون جملةً " حرب إيلا " أي حرم الله على قولٍ، ومحراب الإله على القول الآخر، وذلك لأن هذه البقعة – كما يظهر من التاريخ – كانت من البقاع المقدسة قديماً عند الكلدانيين والبابليين، إذ كان فيها هيكل قديم أقيم لآلهتهم هناك فسُمّيت البقعة كلها بهذا الاسم المقدس.

ويجد هذا التعليل الحديث في إشتقاق إسم كربلاء كل التأييد في الدين لما ورد بهذا المعنى عن الامام الصادق عليه السلام ما نصه حرفياً: " ويحك أما تعلم أن الله اتخذ بفضل قبره[٣] كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل

---

(١) راجع " ذكر كربلاء " في صفحة ١٦ من السنة الخامسة والخمسين من مجلة (المقتطف) المصرية لعام ١٩١٩ م.

(٢) راجع: " مدينة كربلاء " في الصفحة ٧٤٧ من المجلد السابع من مجلة المقتبس الدمشقية لسنة ١٣٣٠هـ = ١٩١٢م لمنشئها محمد كرد علي.

(٣) أي قبر الحسين عليه السلام في كربلاء.

أن يتخّذ مكة حرماً.". وصريح هذه الرواية التي رواها جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧ هجرية في الصفحة ٢٦٧ من كتابه " كامل الزيارات " ينطبق تماماً على الآراء الحديثة المتقدمة ومفاد هذه الرواية من حيث العموم هو أن هذه البقعة التي كان مقدراً لها أن تنال الشرف فيما بعد بأن يكون مدفناً لابن بنت نبي الاسلام، كانت أرضاً مقدسة إتخذها الله بزمنٍ بعيد قبل وقعة الطفّ فيها حرماً له قبل أن يرفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت فتنال مكة هذا الشرف العظيم. وبهذا المدلول، كما يظهر، تتفق هذه الرواية وعلم الآثار القديمة في إشتقاق لفظة كربلاء من اصلها البابلي باْها بمعنى حرم الله، ويستلزم من ذلك أن الأئمة الاطهار في الصدر الأول من الاسلام كان لهم علم بما يكتشفه لنا العلم الحديث في هذا اليوم.

وهذا التعليل على كل حال يعيد الى الذهن ما يؤيّد قدسية كربلاء عند الأقدمين. اما كيف أن كلمة " حرب إيلا " البابلية نُحتت منها كربلاء الحاضرة وكيف أن الحاء في " حرب " قلبت كافاً في اللغة العربية، فتلك أمور لا بد من التحقيق فيها. أما النحت فله قرائن كثيرة قريبة منه جداً فمنها اسماء بابل وإربيل والمقطع الثاني في كل واحدٍ منهما بمعنى الإله. فان كلمة " بابل " منحوتة في الاصل من كلمتي " باب إيلو "

بمعنى " باب الإله " حيث كان هيكل لبعض الآلهة كان رجال الدين أو أرباب الأمر والنهي يجلسون عند بابه لحسم الخصومات وفضّ الدعاوى بين الناس فاشتقوا منها في الاستعمال كلمة بابل التي عمّ إطلاقها بادئ الأمر على المدينة التي كان الهيكل فيها ثم على المملكة كلها، فسُمّيت العاصمة فالمملكة باسم بابل. ومثلها كلمة " إربل " التي هي أصل أربيل الحاضرة فإنها منحوتة في الأصل من كلمتي " إربا " بمعنى الأربعة، و" إيلو " ايضاً بمعنى الإله، أي الآلهة الاربعة، فعمل فيها الاستعمال والتصحيف فصارت تُلفظ إربل. وهكذا نُحتت "حربلا " من لفظتي " حرب إيلا " قلبت الحاء كافاً حسب القواعد المتبعة بين مختلف اللغات في أصول النحت والقلب والتعريب فأصبحت كربلاء كما هو المعروف.

ولم تنل كربلاء منذ العصور القديمة – على ما يظهر- تقديس البابليين والكلدانيين لها فحسب، هذا التقديس الذي إمتدّ مع الاجيال فاقترن وامتزج بمثله أو بأعلى منه في عصر الاسلام، لان الفرس القدماء على ما يرويه صاحب كتاب " دبستان المذاهب" كانوا يشتركون ايضاً مع الأمم والشعوب الأخرى في تقديس هذه البقعة وتعظيمها من الناحية الدينية زعماً منهم بأن كان لهم فيها المعابد وبيوت النار في الأزمنة القديمة. ولذلك فانهم يعتقدون أن لفظة كربلاء فارسية بالأصل ومركبة من

كلمتين: " كار + بالا " بمعنى العمل العلوي والسماوي فعربتها العرب بلفظة كربلاء[١]. والى ذلك يشير العقاد في مقارنته بين الحوادث في عصر الاسلام وفي عهد المجوسية في هذه الديار حين يصوّر بريشته الفنية الدقيقة ما مُثل على ساحة هذه الارض من صراعٍ بين النور والظلمة أي بين الحسين ويزيد، هذا الصراع الذي لم يكن حديثاً في هذه البقعة وكان يرجع دوماً الى ما شاهدته واختبرته كربلاء في القرون والاجيال السالفة من نضالٍ مستمر دائم بين أورمزد إله الخير وبين أهريمن إله الشر يوم كان فيها معابد الأورمزد وبيوت النيران قائمة لمكافحة أهريمن والظلام، ويصفها في كتابه " أبو الشهداء " وصفاً دقيقاً حين يقول:

فجيرة كربلاء كانت قديمة من معاهد الايمان بحرب النور والظلام، وكان حولها أناس يؤمنون بالنضال الدائم بين أورمزد واهرمان، ولكنه كان في حقيقته ضرباً من المجاز وفناً من الخيال.

وتشاء مصادفات التاريخ ألاّ ترى هذه البقاع التي آمنت بأورمزد وأهرمان حرباً هي أولى أن تسمى حرب النور والظلام من حرب الحسين ومقاتليه. وهي عندنا أولى بهذه التسمية من حرب الاسلام والمجوسية في

---

(١) راجع المجلد السابع من مجلة " المقتبس " الدمشقية لسنة ١٣٣٠هـ = ١٩١٢م، ص٧٤٧.

تلك البقاع وما وراءها من الأرض الفارسية، لأن المجوسي كان يدافع شيئاً ينكره ففي دفاعه معنى من الايمان بالواجب كما تخيّله ورآه، ولكن الجيش الذي أرسله عبيد الله بن زياد لحرب الحسين كان جيشاً يحارب قلبه لأجل بطنه أو يحارب ربه لأجل واليه. إذ لم يكن فيهم رجل واحد يؤمن ببطلان دعوى الحسين أو رجحان حق يزيد، ولم يكن فيهم كافر ينفح عن عقيدة غير عقيدة الاسلام، إلاّ من طوى قلبه على كفر كمين هو مُخفيه، ولا نخالهم كثيرين. ولو كانوا يحاربون عقيدة بعقيدة لما لصقت بهم وصمة النفاق ومسبّة الأخلاق. فعداوتهم ما علموا أنه الحق وشعروا أنه الواجب أقبح بهم من عداوة المرء ما هو جاهله بعقله ومعرضٌ عنه بشعوره، لانهم يحاربون الحق وهم يعلمون.

ومن ثم، كانوا في موقفهم ذاك ظلاماً مطبقاً ليس فيه من شعور الواجب بصيص واحد من عالم النور والفداء. فكانوا حقاً في يوم كربلاء قوة من عالم الظلام تكافح قوة من عالم النور[١].

" واذا ما ألقيت نظرة بسيطة على صفحات تاريخ كربلاء منذ عصرها الأول الى العصر الحاضر لظهر استمرار هذا النضال بين النور والظلام في طول ادوارها التاريخية لما انتابته هذه المدينة المقدسة بصورةٍ

(١) العقاد: " ابو الشهداء "، طبع مصر، ص١٦٢-١٦٤.

مستمرة في مختلف الاعصر عدا بعض الفترات القصيرة من أنواع الأذى والعسف والظلم والهدم والخراب.

فكان يجري الهدم فيها قديماً بعنوان الهدم نفسه، وأما اليوم يجري فيها الهدم باسم الاصلاح. نتيجة لذاك النضال المستمر منذ عهد أورمزد واهريمن بين النور والظلام.

الباب الاول: مسالك تاريخ كربلاء ومشاكله في الماضي والحاضر

أولاً – هل بَحثَ الأقدمون في تاريخ كربلاء؟ ولماذا لم يبحثوا فيه؟

قبل أن نبدأ في اصل الموضوع لا بدّ لنا أن نستعرض مسالك تاريخ كربلاء ومشاكله عرضاً اجمالياً كمقدمة لا بدّ منها للدخول في مثل هذا البحث المستعصي العويص. فقد كانوا وكنا منذ امد بعيد نشعر بالحاجة الى تاريخ جامع شامل لكربلاء يدرس نواحيها المادية والأدبية، ويبحث في مختلف شؤونها الروحيّة والمعنوية، ويصّور معالمها العمرانية والاقتصادية من العصر الأول، وإن أمكن، من العصور القديمة الى العصر الحاضر، نظراً لما لهذه المدينة المقدّسة بين المدن الاسلامية الأخرى من الأهمية والخطورة من الناحيتين الروحانية والدينية في الاسلام.

وبالرغم من إقبال الناس وتهافت النفوس في كل وقتٍ وبهذه

الكثرة المتزايدة من يوم الى يوم على زيارة كربلاء بقى تاريخها مع الأسف رهن الظروف المتعاكسة، وقيد الأحوال السياسية المتشاكسة فكان من آثارها الفعليّة أن بقيت هذه المدينة المقدسة مترنحة بين الصعود والنزول، والعلو والهبوط، والتقدّم والانحطاط، فاصبح لا يُعرف اليوم الشيء الكثير عنها في كل دورٍ من ادوار العز والخمول، والعمران والخراب.

وقد لا يمكن اليوم أن يُعزى هذا الغموض الشامل الذي يحيط بتاريخها، والتكّتم الذي يسود صفحاتها الماضية- فيما نعتقد – إلاّ على الأكثر لسببين رئيسيّين من ضمن اسباب مختلفة كثيرة: انصراف الرواة والمحدّثين والمؤرّخين انفسهم بالدرجة الأولى الى ذكر الحادث والاهتمام بتفاصيل وقعة الطف نفسها وما ترتّب على تلك الفاجعة العظمى من النتائج والآثار الفعلّية والمالية من وجهة الدين والاسلام، اكثر من اهتمامهم بتاريخ البقعة، أو إكتراثهم بتدوين ما طرأ على هذه البقعة خلال العصور والاجيال المتوالية من التطورات العمرانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهي أمورٌ ليس لها في نظر أهل الدين وذوي العقيدة والايمان أي اثر وضعي ولا تُعدّ إلاّ من نوع الأمور الثانوية التافهة التي لا علاقة لها بالجوهر، جوهر الدين لاسيما عند قوم تربيتهم الأولى هي التّمسك بالأمور المعنوية والأخروية اكثر من تمسكهم بالمظاهر

وبالأمور المادية والدنيوية. وهُم كما هُم عليه ضحّوا بالمادة دائماً في سبيل المعنى منذ ان نشأوا، وتركوا نعيم الدنيا في سبيل الدين منذ أن بدأوا. فلم يكن من ناحيتهم، والحالة هذه، لا قصور ولا تقصير في هذا الأمر ما دامت القضية عندهم قضية مبدأ وإيمان، وعقيدة واسلام لا قضية إقتصاد وعمران.

وثانياً عدم إرتياح السلطات الحاكمة في العهد الأموي الى أواسط الحكم العبّاسي الى كل ما من شأنه إعلاء شأن كربلاء والإشادة بها أن يعمّ ذكرها في الآفاق والأقطار الاسلامية عن طريق النشر والتأليف والدعاية فيستفحل أمرها ويمتد أثرها في كل مكان فتصبح كربلاء مزاراً عاماً لا للشيعة فقط بل والمسلمين كافة وهم بعد على الفطرة والعقيدة الاسلامية الأولى لم تتلاعب الأهواء بنفوسهم، ولم تتغلغل الاحقاد والضغائن في أعماق قلوبهم كما لعبت بهم السياسة في الظروف المختلفة وفرقتّهم فيما بعد. فان لم ترتح السلطة الحاكمة في العهد الأموي الى إعلاء شأن كربلاء بنشر خبرها وانتشار ذكرها في الآفاق فذاك أمرٌ طبيعي، لأنهم هم الذين إقترفوا فيها تلك الجناية العظمى، وتعظيم ذكر كربلاء وإعلاء شأنها كان بالطبع بمثابة تحطيم لهم ولدولتهم. ومثلهم العبّاسيون الذين بدأت دعوتهم لآل النبي ثم استغلوا الظروف وانفردوا بالأمر دون بني

عمومتهم، ممّا كان – بطبيعة الحال – يفتّ في عضد دولتهم كل تعظيم للعلويّين وكل تقديس لكربلاء ولذكرها بين الناس. فجعلوا همّهم الأول والوحيد منذ تبوأ المنصور العرش مكافحتهم ومكافحتها بكل ما أوتوا من قوةٍ ومن بطشٍ. فمن المنصور الى الرشيد الى المتوكل حاربوا العلويين ابناء عمهم حرباً أنست مظالم الأمويين فقضوا على الكبير والصغير منهم بطرق وأساليب شتى، قتلوهم شرّ تقتيل يقتل إنسان أخاه الانسان، ودفنوا الاحياء افراداً وجماعات في حُفر وواروهم التراب. وكم أقاموا في أيامهم على أرض العراق وبغداد من جدران واعمدة بُنيت على أجساد العلويين وهم أحياء. ومن عهد المنصور الى الرشيد الى المتوكل وغيرهم كم مرةٍ ومرات أُبيدت وأعدمت كربلاء وهُدم القبر المطّهر ثم نحروا وحرقوا وزرعوا موضع القبر، لا لحاجةٍ الى أرضٍ جديدة للزرع بل عداءً لآل بيت النبوّة ولكربلاء حيث دفن بضعة الزهراء البتول. فكان الناس في هذا العهد يتناقلون على الأكثر بأخبار كربلاء ومجرياتها من بلد الى بلد دون أن يجرؤا على تسجيلها او تدوينها كما يفهم ذلك ممّا ذكره اكثر المؤرخين بسنده عن يحيى ابن المغيرة الرازي.

ولهذين السببين الرئيسيّين – على ما نعتقد – لم يزدهر تاريخ كربلاء في سالف العهد وغابر الأيام ولم ينصرف الرواة والمؤرخون الى

الإطالة في وصفها والإسهاب في ذكرها إلا أحياناً وذلك من طرف خفي ضمن المأساة نفسها خشية السلطة الحاكمة المهيمنة في كل وقت على مقدرات البلاد والعباد. ولذلك بقي تاريخها الماضي مجهولاً الى حدٍّ كبير، فبقي الباحث معه حائراً في معالجة الموضوع مع قلّة الزاد وطول الطريق.

ثانياً - أليس من الواجب وضع تاريخ لكربلاء؟

فلو لم ينصرف الأقدمون لأسبابٍ سياسية وغير سياسية الى البحث في تاريخ كربلاء ووصف عمرانها ومعالمها من الصدر الأوّل ولو بصورةٍ إجمالية لتزويد الأجيال الآتية من بعدهم بأخبار كل عصرٍ مرَّ عليها، أليس اليوم من الواجب أن يتلافوا قصور الماضين، ويتداركوا النقص الذي لحقها من جرّاء التهاون فجعلها مطمورة في ظلمات الماضي القريب والبعيد؟ بحيث لا يُعرف بالضبط شيء عن ماضيها وسالف أيامها.

ومع ما أصبحت لهذه المدينة المقدّسة من المكانة والمنزلة العليا، وما تتمتع بها من الشهرة العالمية بين الأمم والشعوب، تكاد لا تجد حتى في العصر الحاضر إلاّ القليل ممن تطرقوا او يتطرقوّن الى شيء من تاريخها ووصف عمرانها ومعالمها الدينية والسياسية. وان عالج البعض قضيتها عالجوها على الأكثر بضمن تلك المأساة التاريخية المفجعة التي كانت كربلاء ساحة عرضٍ لها قبل الف وثلاثمائة عام أو أكثر بقليل. والحالة أن

كربلاء وان كانت تستمد الروح والحياة والبقاء من تلك الفاجعة الأليمة الخالدة التي أنعمت عليها بوسام الخلود والشأن العظيم، فأصبحت بها مركزاً دينياً عاماً في العالم الاسلامي منذ الصدر الأول، غير أن حياة كربلاء، وعمرانها، ومعالمها الخاصة كمدينةٍ مهمّة، وما طرأت عليها خلال القرون والعصور المختلفة من الانقلابات العنيفة أو التطورات الخاطفة كانت في ذاتها تتطلّب الشيء الكثير من العناية والاهتمام بتاريخها، وتنسيق أخبارها، ودراسة أدوارها المختلفة دراسة كاملة.

وهذا الفراغ في ذاته قد أحدث – كما يشاهد يومياً – تأثيراً عميقاً من الأسف الشديد في قلوب الكثيرين من ذوي العلاقة بكربلاء من الطبقات المثقفة في مختلف الاقطار الاسلامية لحرمانهم المستمر من الاطلاع على تاريخ كربلاء يبحث بصورة مفصّلة، أو إجمالية على الأقل عن معالمها الماضية والحاضرة وذلك بالنظر لما لهذه المدينة المقدسة بين المدن – في نظرهم – من الأهمية التاريخية والدينية في العالم الاسلامي. إذ أن الذين يزورُها من مختلف البلدان والأقطار يزيد عددهم على مليون نسمة في كل سنة، وليس في العالم بلد يزوره سنوياً مثل هذا العدد العظيم من الزائرين من مختلف الاجناس والعناصر، حتى ان مكة المعظمة لم يبلغ عدد حجاجها بأكثر من ربع هذا العدد. فجدير بمثل هذا البلد العظيم ان يكون

له تاريخ. وهو مطمح أنظار العالم الاسلامي بأسره.

وقد حاول البعض من ذوي الخبرة والاطلاع في الآونة الأخيرة ان يخصّوها بدراسة وافية، ويفردوا لها تاريخاً يشمل وصف ما كانت عليه كربلاء منذ العصر الأول، وما طرأت عليها من التغيرات والتبدلات الهامة الكثيرة على مر العصور والاجيال من مختلف نواحيها العمرانية والاجتماعية والسياسية والعلمية، غير ان قلة المصادر التاريخية القديمة في هذا الصدد لإشباع مثل هذا المشروع الواسع النطاق، مضافاً الى ذلك، تشتت هذه المصادر نفسها في كثير من مختلف الكتب القديمة الموجودة وغير الموجودة بالفعل من جهة، وثم من جهةٍ ثانية عدم حصر هؤلاء جهدهم ومساعيهم في إستقصاء دراسة عصرٍ من عصورها، أو على الأقل، إستظهار ناحيةٍ واحدة من نواحي تاريخها الكثيرة على قدر الامكان والمستطاع هدد مشروعهم الواسع منذ البداية بالفشل، أو بعبارةٍ أخرى فقد أخرّ ظهور مثل هذا المشروع الى عالم المطبوعات الى اجل غير معلوم من أزمنة الإمكان. فباءت بالنتيجة تلك المحاولات ويالالأسف بالفشل منذ البداية، ولم ينجمع عند كل واحدٍ منهم سوى بعض الفقرات المتفرقة المختلفة عن تاريخ كربلاء بخلوا بها على الآخرين لتنسيق البحث وتنظيمه، وأمسكوا عن نشرها حتى في الصحف الدورية

والمجلات كمواضيع مستقلة في ذاتها خدمة للجمهور وللتاريخ نفسه.

فان لم نكن بأوّل واحدٍ فكنّا على الأقل، ممن كانوا يشعرون بمثل هذا الواجب منذ أمدٍ غير قريب. فكنّا كلما نفكر فيه احياناً كنّا نرجئه لوقتٍ اخر تتهيء له الظروف المناسبة والأمور كما يقال مرهونة لأوقاتها، الى ان كان ذلك بعونه تعالى. وأني لمدين في ذلك الى وعكة عارضة الزمتني البيت في كربلاء عشرين يوماً في رمضان ١٣٦٤هـ انصرفت اثناءها الى التفكير في الموضوع، ودراسة المشروع، ووضع الخطط الأساسية لمثل هذا التاريخ.

وكان الحافز فيما انصرفت اليه في مثل تلك الحال وانا طريح الفراش ما صرت الاحظه من الاتجاه القوي عند بعض الجهات لتغيير معالم كربلاء باسم الاصلاح تغييراً من شأنه ان يقضي تماماً في هذه المرّة على البقية الباقية من الأثر الضئيل الذي بقى لكربلاء من الماضي السحيق تراثاً علميّاً وروحياً تعتز به كربلاء أمام نظيراتها من المدن الاسلامية المهمة. وهذا الحيف كان الدافع الى الكتابة سعياً ان نسجّل للأجيال القادمة ما بلغت اليه معالم كربلاء في هذا العصر، وما اشتملت عليه هذه البلدة الآمنة من المدارس والمعاهد العلمية، والمساجد والمعابد الدينية، والآثار الفنية البديعة، والابنية التاريخية القيمة من آثار السلف

الصالح من عظماء وملوك، وأمراء ورجال لمختلف الدول الاسلامية شيدوها وأقاموها حول الصحن المطهر في مختلف الادوار الماضية، ندونها قبل أن تتناولها معاول الهدم باسم الاصلاح قريباً فتقضي على معالمها فتضيع أخبارها، كما ضاعت من قبل، وقد قضت تلك المعاول الصامتة القاسية بالفعل منذ عهدٍ قريب في عام ١٩٣٥ميلادي ١٣٥٤ هجري على اعظم اثر فني تاريخي قديم يوم اقتلعت باسم الاصلاح من جذورها تلك المأذنة التاريخية العظيمة التي كانت تعرف بـ " منارة العبد " او " مأذنة مرجان " في الزاوية الجنوبية الشرقية من صحن الحسين عليه السلام، وكان لتلك المأذنة اوقاف كثيرة في بغداد ولا تزال موجودة.

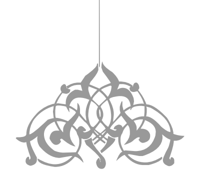
وقد يدعو وضع كربلاء اليوم الى اليأس والى كثير من الشفقة وهل من مشفقٍ على معالمها الدينية والروحية؟ وقد دفع البعض حب الشهرة والظهور بانهم خدموا كربلاء في نظر العوام خدمات جليلة تكون لهم مرقاةً للمناصب العليا ظناً منهم بأن بنائهم سيقوم على أنقاض هذا الهدم بأن كربلاء هي والمدن الأخرى على حدٍ سواء في عدم المحافظة على كل ما يتصل بتاريخها القديم ويذّكر الأجيال القادمة بكل ما كان لها من شأن في ماضيها السحيق، وهي والمدن الأخرى– في نظرهم – سواء من حيث هدم معاهدها ومساجدها ومعابدها وإزالة معالمها القديمة وإبادة صورها الماضية بغية احداث شوارع منتظمة نائية الاطراف على

طراز المدن الأوربية الحديثة المنشئة على الارض البسيطة البيضاء، فتشق البلد جنوباً وشمالاً وتخرقها شرقاً وغرباً ولو استلزم احداثها هدم كل ما بقى في كربلاء من أثرٍ تاريخي قديم يصوّر الماضي الى درجة ما للأجيال والقرون القادمة. وشتان بين هؤلاء المصلحين وبين مديرية الآثار القديمة ومن هذه الأبنية القديمة قبر الشاعر الكبير فضولي البغدادي المتوفى في كربلاء وفي طاعون سنة ٩٦٣هـ وغيرها، فإن مديرية الآثار لا تبالي بهدم كلما يجب الاحتفاظ به من أثرٍ قديم. ومن المؤسف حقاً ان رجال الحكومات الديمقراطية في الشرق لا يقيمون أي وزن للآراء ولا يرون إلا رأيهم ويعتقدونه صالحاً ما ينافي الفن ويغاير التاريخ. ومع أنه لم تكن مثل هذه الأمور لتخفى على ذوي الخبرة بالإدارة ممن ينظرون الى الأمور نظرة واقعية وبمنظار بعيد، فقد خرج معالي السيد عبد المهدي في مجلس الاعيان العراقي في يوم الخميس ٢٨ اذار ١٩٤٦ بقوله: "ان تخطيط المدن القديمة وفق الأساليب العصرية غير ممكن لوجود المعابد والآثار النفيسة التي ينبغي الاحتفاظ بها.

واذا اردنا إنشاء مدن عصرية وفق هذه الأساليب فلننشأ مدناً جديدة خارج المدن القديمة" (١).

---

(١) جريدة " الساعة " عدد ٤٤٥ ليوم الجمعة ٢٩ اذار ١٩٤٦.



كربلاء وأهمّيتها في التاريخ

والان فان موضوع بحثنا هو تاريخ كربلاء ومعالمها الماضية والحاضرة من مختلف النواحي العمرانية والسياسية، والاجتماعية والاقتصادية طيلة هذه القرون المديدة من الصدر الأول الى العصر الحاضر، غير أن ذلك لا يمنعنا أن نرتّد بالحوادث أحياناً الى الوراء الى الادوار القديمة من التاريخ كلما اقتضت الحال، أو توفّرت المصادر والمستندات التاريخية لإيفاء الموضوع حقه من حيث البحث والتمحيص والتحقيق اللازم لتجلية ناحيةٍ من النواحي، أو إقامة قسمٍ مهم قد لا يستقيم تاريخ كربلاء إلاّ به كجزء مكمّل لتاريخها في العصر الاسلامي.

وكربلاء – كما هو معلومٌ لدى الجميع – غنية عن الوصف والتعريف، إذ أنها في عداد المدن الاسلامية من الدرجة الأولى التي تتمتع بشهرةٍ عالمية واسعة مثل المدينة المنورة، أو مكة المعظّمة مهبط الوحي

ومهد الدعوة الاسلامية في الجزيرة العربية. وكما انها في تاريخ العالم من حيث الشهرة في عداد المدن المخلّد ذكرها على صفحات الأيام وسجل العصور من قبيل مُدن طروادة، وبابل، وآشور وغيرها في التاريخ. وكما أنّها من طراز المدن المهمّة الحاضرة من حيث الصيت والشهرة، فانك لا تكاد تستشير معجماً من المعاجم، أو موسوعة من الموسوعات، أو دائرة من دوائر المعارف الموجودة بمختلف اللغات الأوربية والأجنبية عن لفظة " كربلاء " إلاّ وتجد حتى في أقل واحدٍ منها شرحاً وبسطاً بأن: " كربلاء هي من مدن أسيا جرت فيها مأساة أليمة قتلوا فيها ابن بنت نبي الاسلام وأصحابه".

وممّا يقوله المؤرخ الأنكليزي الاشهر " جيبون " بهذا الصدد: " إن مأساة الحسين المروعة بالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها لا بدّ أن تثير العطف والحنان في نفس أقل القراء إحساساً وأقساهم قلباً "[(١)].

وطبيعي ان مثل هذه الشهرة العالمية لم تأتها عفواً بغير سبب، ولم تنل كربلاء هذه الشهرة الواسعة إلاّ منذ ألف وثلاثمائة سنة فقط. والحالة أن هذه البقعة كانت موجودة قبل ذلك، وكربلاء وهي إسم هذه البقعة كانت بطبيعة الحال تسبق ظهور الاسلام، ومع ذلك لم يوجد لها أيّ أثرٍ

(١) تاريخ العرب للسيد أمير علي، ترجمة رياض رأفت، طبع مصر ١٩٣٨، ص٧٤.

أو ذكرٍ في التاريخ. وعلى فرض وجودها لم تتمتّع إذ ذاك بشهرةٍ كما تمتّعت بها من بعد، إذ لم تكن في عهدها القديم بأكثر من بقعةٍ زراعية بسيطة خاملة الذكر على عهد الكلدانيين والآشوريين والكاشيين والعموريين والاكديّين والسومريّين أو غيرهم، فكانت أرضاً من الأراضي الزراعية الكثيرة من طف الفرات التابعة لبابل قبل الاسلام وللكوفة بعد الفتح لا أكثر ولا أقلّ من ذلك على أي تقدير. ولم يكن لها – كما بسطه العقّاد في كتابه " أبو الشهداء " – ما تذكر به في أقرب جيرةٍ لها فضلاً عن أرجاء الدنيا البعيدة منها. فليس لها من موقعها ولا من تربتها ولا من حوادثها ما يغري احداً برؤيتها ثم يثبت في ذاكرة من يراها ساعة يرحل عنها. فلعل الزمن كان خليقاً أن يعبر بها سنة بعد سنة، وعصراً بعد عصر دون أن يُسمع لها إسم أو يُحسّ لها بوجود، إلا أن تذكر نينوى وجيرتها فتدخل في زمرة تلك الجيرة بغير حساب.

وشاءت مصادفة من المصادفات أن يُساق اليها ركب الحسين بعد أن حيل بينه وبين كل وجهةٍ أخرى، فأقترن تاريخها منذ ذلك اليوم بتاريخ الاسلام كله. ومن حقه أن يقترن بتاريخ بني الانسان حيثما عُرفت لهذا الانسان فضيلة يستحق بها التنويه والتخليد. فهي اليوم حرمٌ يزوره المسلمون للعِبرة والذكرى، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة.

ولكنها لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تُصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظاً من الفضيلة، لأننا لا نذكر بقعةً من بقاع هذه الأرض يقترن إسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الانسان من تلك التي إقترنت بإسم كربلاء بعد مصرع الحسين فيها.

فكل صفةٍ من تلك الصفات العُلويّة التي بها الإنسان إنسان، وبغيرها لا يحسب غير ضربٍ من الحيوان السائم فهي مقرونة في الذاكرة بأيام الحسين رضي الله عنه في تلك البقعة الجرداء[١].

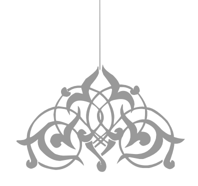
فيتعين من ذلك كله ان كربلاء إذ ذاك لم تكن بأكثر من بقعةٍ منعزلةٍ خاملة الذكر، ولكن ما الذي أكسب تلك الأرض الخاملة هذه الشهرة العالمية الواسعة التي جعلت إسمها يرنّ في الآذان، وذكرها يُردّد على الأفواه، وتاريخها العظيم النادر يملأ القلوب والنفوس مدى العصور والأجيال بين الأمم والشعوب في كل مكان؟

تلك الفاجعة العظيمة، وتلك المأساة التاريخية الأليمة التي كانت أرض الطّف ساحة عرضٍ لها منذ ثلاثة عشر قرن، فصبغت سماءها بالأرجواني القاتم، وسقت تربتها بدماء الشهداء الأبرار في العاشر من

(١) العقاد، كتاب " ابو الشهداء " طبع مصر، ص١٥٣ -١٥٤.

محرّم ٦١ من الهجرة، فخلعت عليها حلةً من السواد حداداً على تلك الأرواح الزاكية والنفوس الطاهرة، والتي فوق أرضها وتحت سماءها كانت ضحيّتها الإباء، والشهامة، والحق، والعدل، والحريّة، هي التي منحت هذه البقعة تلك الشهرة العالمية الفائقة فأنعمت عليها وسام الخلود بين نظائرها من المدن الشهيرة في التاريخ القديم، أو بين المدن الاسلامية المقدسة من الطراز الأول.

وعليه، فإن كربلاء تستمد الحياة والبقاء والشهرة العالمية من تلك الفاجعة الأليمة، ويقترن تاريخ ظهورها بين المدن المهمة في العالم بتاريخ تلك المأساة العظيمة التي لم يشهد التاريخ نظيراً لها في الأزمنة الغابرة، ولا في العصور المتأخرة من تاريخ البشرية.



نظرة إجمالية في تاريخ كربلاء خلال أربعة عشر قرن

ان هذا البناء الشامخ العظيم الذي يعلو اليوم على مرقد الحسين عليه السلام بُحسن ريازته، وجمال هندسته، وإتساع ساحته، وعظم قاعدته، وفخامة بنيانه، ونفاسة زخرفه، وإتقان صنعته، بالمآذن والقباب الذهبية الفخمة، وابراج الساعات الرنّانة المرتفعة والذي على أسلوبه وغراره أقيم مثلهُ في العتبات المقدسة على مراقد أئمة العرب الهُداة من العترة الطاهرة من سلالة هاشم في العراق وايران من النجف والكاظمية وسامراء ثم مشهد الرضا بأرض طوس في خراسان، وهذا البناء يرجع في الأصل الى ذلك البناء البسيط الذي شُيّد لأول مرّة من بعد وقعة الطف على القبر المطّهر بعد ان واروا تلك الاجساد الطاهرة في التراب فبنوا عليه سقيفة أو شبه سقيفة فتطورت بالتدريج هذه السقيفة البسيطة مع الأيام والعصور بما أدخل عليها بفعل العقيدة والايمان من التوسع

والتحسين والتجميل الى أن بلغت الى ما هي عليه الآن من الفخامة والعظمة والجلال وذلك بعد ان انتابها الهدم والخراب مراتٍ عديدة في مختلف الظروف على عهد الطغاة من الملوك العباسيّين من المنصور والرشيد والمتوكل وغيرهم.

واذا ما ألقينا نظرةً سريعة على معالم كربلاء بصورة اجمالية قبل الخوض في تفاصيل تاريخها القديم الى اليوم أي من حين أن شُيد أول بناءٍ بسيط على القبر المطّهر في بداية الأمر الى أن بلغ الى ما هو عليه الآن من الفخامة والعظمة نجد ان الحائر المقدّس قد بُني وأعيد بناؤه خلال القرون الماضية ما يقرب بأكثر من سبع مراتٍ كان يُبنى فيُهدم، ثم يُبنى من جديد ويُعاد البناء بأحسن من قبله ثم يُهدم. وهكذا توالى عليه البنيان والهدم متوالياً بأكثر من سبع مرات. أوّله – وكان أوّل ما بُني عليه بعد وقعة الطف على عهد الدولة الأموية، إذ كان قد بُني عليه سقيفة ومسجد له باب شرقي وبابٌ غيره، ولا يُعلم بالضبط من الذي أقام البناء على القبر المطّهر لأوّل مرةً. وزعم البعض " ان بني أسد الذين دفنوه هم الذين بنوا عليه المسجد"(١).

وذهب صاحب " كنز المصائب " أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي

---

(١) راجع: نزهة أهل الحرمين، ص١٤.

هو الذي قام بتشييد القبر وأتخذ قرية من حوله[١]. وبقى هذا البناء قائماً طيلة حكم الأمويّين.

والمسالح قائمة من حوله لمنع الوافدين اليه من الزيارة. ولم يزل البناء والمسجد الى قيام الدولة العباسية، والقبر المطّهر بعيدٌ في هذه الفترة عن كل انتهاك لانشغال الدولة العباسية من جهة بتوطيد دعائم الملك، ومن جهةٍ أخرى لظهور دعاة هذه الدولة في بادئ الامر مظهر القائم بإرجاع السلطة الى اصحابها الشرعييّن من آل البيت. مع العلم أن القائمين بالدعوة كانوا من أهل خراسان، فكان أكثرهم ان لم يكن كلّهم من أنصار العلويين. ولّما توطد الأمر لبني العباس وتمكنّوا من قمع الثورات الداخلية والقضاء نهائياً على منازعيهم الأمويّين جاهروا بمعاداة آل أبي طالب وشيعتهم معاداةً مستورةً خفيفة الوطأة بادئ الأمر أيام السفّاح استفحلت بصورة علنّية أيام المنصور بوقيعته المشهورة في وجوه واعيان آل الحسن وإبادتهم بالقتل عن آخرهم. ثم خفّت الوطأة حيناً على عهد المهدي والهادي لتنبعث بتمام قوتها وشدتها على عهد الرشيد الذي طارد العلوييّن وناهضهم مناهضة شديدة فسجن كبارهم، وفتك

(١) راجع: ١- كنز المصائب، ٢- نزهة أهل الحرمين: ص١٤، ٣- تاريخ كربلاء المعلى: ص١٠، طبع النجف ١٣٤٩هـ.

بساداهم، وأهان عظمائهم، وأخيراً دعاه فرط بغضه لعلي وآله من الأحياء منهم والأموات ان أمر بهدم كربلاء وكرب قبر الحسين عليه السلام وقطع السدرة في آواخر أيامه.

الثانية – وهي العمارة التي أقيمت على القبر المطّهر من بعد هدم الرشيد له، وبقي هذا البناء قائماً ما يقرب من أربعين سنة من بعد الرشيد الى أيام المتوكل حفيده الذي في مدة خمس عشرة سنة من حكمه (٢٣٢ – ٢٤٧) فاق جدّه الرشيد في هدم كربلاء وكرب القبر المطهر اربع مرات في عام ٢٣٢ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٤٧هـ. ولعل هذه العمارة الثانية من بعد الرشيد كانت للمأمون لأنها أعيدت في عهده الذي توّجه بتظاهر الحب لآل البيت واعطاء ولاية العهد من بعد قتل أخيه الأمين للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام استرضاءً لمناصريه من أهل خراسان، وتبديله السواد شعار العباسيّين بلبس الخضرة شعار العلويين ممّا إرتاح الشيعة الى حكمه واستنشقوا الحرية وعاشوا عيشة هادئة في أيّامه. وممّا لا ريب فيه بأن في عهد المأمون أعيد موضع القبر وأقيم عليه بناءٌ شامخ بقي على هذا الحال الى أن جاء دور المتوكل فضيّق الخناق على الشيعة وطاردهم مطاردة عنيفة في الآفاق، وأمر بهدم قبر الحسين عليه السلام ومخره وحرثه، وأقام المسالح على أطراف كربلاء يترصدون

لمن يأتي لزيارة قبر الحسين عليه السلام أو يهتدي الى موضع قبره فيعاقبوهم بأشد العقوبات حتى القتل. وتطاول المتوكل على أوقاف الحائر وصادر اموال خزينة الحسين عليه السلام ووزعها على الجنود قائلا ان القبر ليس بحاجة الى الأموال والخزينة. وقد اصبحت الشيعة في كرب عظيم في هذا الدور ولم تنل بعضاً من الحرّيّة إلاّ على عهد المنتصر ابنه الذي إشترك مع الأتراك على قتل أبيه في شوال ٢٤٧هـ.

الثالثة – وهي العمارة التي شُيدّت على القبر المطّهر بأمر المنتصر بعد هدم المتوكل له. إذ كان المنتصر شديد العطف على آل أبي طالب، أحسن اليهم مدة حكمه وفرق فيهم الأموال وأعاد القبور، وأمر ببناء الحائر وبنى ميلاً عالياً على المرقد الشريف يرشد الناس اليه وشجع الناس على زيارته.

الرابعة – والعمارة الرابعة على القبر المطّهر هي التي شيدّها محمّد بن زيد بن الحسن بن محمد بن اسماعيل جالب الحجارة ابن الحسن دفين الحاجر ابن زيد الجواد بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب بالداعي الصغير فإنه مَلَكَ طبرستان عشرين سنة بعد اخيه الحسن الملقب بالداعي الكبير، وبنى المشهدين الشريفين في الغري والحائر في عام ٢٨٣هـ على عهد المعتضد العباسي. لأن البناء الذي كان قد شيّد في أيّام المنتصر

في عام ٢٤٧-٢٤٨هـ كان قد سقط في ذي الحجة سنة ٢٧٣هـ وبقي على ما يظهر الى أن قام بتجديده الداعي الصغير محمد بن زيد بن الحسن المذكور ملك طبرستان.

الخامسة – وهي عمارة عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي الذي كان ملكه بعد أبيه في زمن الطائع بن المطيع العباسي. ولم تطل أيام عضد الدولة وكانت مدة ملكه خمس سنين وتوفى في سنة ٣٧٢هـ.

وقد زار عضد الدولة بن بويه كربلاء والنجف في عام ٣٧٠هـ وبلغ الغاية في تعظيم المشهدين الغروي والحائري وعمارتها والأوقاف عليها وكان يزورهما كل سنة. وبالغ في تشييد الابنية حول الضريح، وفي زمانه بنى عمران بن شاهين الرواق المعروف بـ " رواق عمران " في الحرم المطهر. وكان عدد من جاور القبر في ذلك العهد من العلويين ما يقرب من ٢٢٠٠ نسمة فأجزل لهم عضد الدولة في العطايا وكان ممّا بذل لهم مائة الف رطلٍ من التمر. وكان آل بويه من أنصار مذهب التشيع، واستفحل امر التشيع على عهدهم حتى ان معز الدولة أمر سنة ٣٥٢هـ بإقامة المآتم في عاشوراء. وكان ذلك أول مأتمٍ أقيم في بغداد.

السادسة – وهي العمارة التي شيّدت في أوائل القرن الخامس الهجري بعد الحريق الذي نشب في حرم الحسين عليه السلام في ربيع

الاول سنة ٤٠٧هـ. إذ انه قد شبّت النار حول الضريح المقدس على أثر سقوط شمعتين كبيرتين سقطتا على المفروشات فأشعلتها، فالتهمت النار القبة وتعدتها الى الاروقة ولم يبق من البناء إلاّ السور وشيءٌ من الحرم[(١)].

فقام بتشييد العمارة ابو محمّد الحسن بن مفضل بن سهلان الرامهرمزي وزير سلطان الدولة بن بويه الديلمي. وهو الذي بنى السور للحائر كما رواه القاضي المرعشي في كتابه " مجالس المؤمنين" في طبقات الشيعة عن تاريخ ابن كثير الشامي أنه بنى سور الحائر الحسيني وقُتل سنة ٤٦٠هـ (أو ٤١٢ هـ حسب ما ورد في نزهة أهل الحرمين ص٢١).

وقيل أن هذا السور هو الذي ذكره ابن إدريس في سنة ٥٨٨ في كتاب المواريث من " السرائر "، وان العمارة هي التي رآها ابن بطوطه ووصفها في رحلته التي كانت سنة ٧٢٧ من الهجرة. ولكن بعد قرن واحد تقريباً أي في خلافة المسترشد بالله في عام ٥١١ عادت السياسة

---

(١) ومن الغريب أنه في مثل هذا الوقت احترق ايضاً جامع سامراء. وتشعث الركن اليماني من البيت الحرام. وسقط حائط بين يدي حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ووقعت القبة الكبرى على الصخرة بالبيت المقدس. وكانت فتنة كبيرة بين أهل السنة والشيعة بواسط انتصر فيها أهل السنة وهرب وجوه الشيعة والعلويين الى علي بن مزيد فاستنصروه. واحترق نهر طابق ودار القطن وكثير من باب البصرة وهي كلها من محلات الكرخ ببغداد (ابن الاثير: ج٩/ ص١٠٢).

الإرهابية في أيامه فضاقت الأرض على رحبها على الشيعة.

وكانت خزائن الحائر قد امتلأت في هذا الوقت بالأموال والنفائس من النذور والموقوفات، فوضع المسترشد عليها اليد وصادر كل ما وجد في الخزانة من الأموال والمجوهرات وأنفق قسماً منها على جيوشه قائلاً مثل ما قاله المتوكّل من قبله: ان القبر لا يحتاج الى خزينة مكتفياً بهذا السلب دون أن يتعرّض للبناء أو يمسّ القبر المطّهر بسوء.

السابعة – وهي – حسب الظاهر – هذه العمارة الموجودة الآن وليست بويهيّة كما اشتهر بين الناس، لأن تاريخها يرجع الى القرن الثامن في عام ٧٦٧ من الهجرة اي بعد انقضاء دولة آل بويه بأكثر من ثلاثة قرون لأن انقراضهم كان في سنة ٤٤٧ والفرق بين هذا التاريخ وتاريخ العمارة السابعة هو٣٢٠ سنة. ولا هي من عمارة العباسيين لانقراض دولتهم في سنة ٦٥٦ من الهجرة أي بمائة وأحدى عشرة سنة قبل هذا التاريخ ايضاً. فان السلطان أويس الجلائري شيد المسجد والحرم في سنة ٧٦٧ ثم أتمّ البناء وأكمله من بعده ابنه السلطان حسين. وقد وُجد تاريخ هذا البناء في تلك السنة مكتوباً فوق المحل المعروف بـ " نخلة مريم "[١] في حرم الحسين عليه السلام في الجانب الجنوبي الغربي منه مما

(١) الكافي للشيخ الكليني ج١ ص ٤٠٠: قال أبو عبد الله عليه السلام إن نخلة مريم ←

يلي الرأس المطّهر. وقد شاهد هذا التاريخ محمد بن سليمان بن زوير السليماني وبقي هذا التاريخ محفوظاً في محله المذكور الى عام ١٢١٦ هـ ولكن العثمانيين في تلك السنة رفعوه ومحو اثره في أيامهم. ولم تبق عمارة السلطان أويس على ما كانت عليه، بل أصلحت وزيد عليها مع الأيام من قبل أمراء ورجال وملوك الشيعة وغيرهم كما سنرى.

لم يكن لكربلاء والقرى المجاورة لها أو المحيطة بها أيّ ذكرٍ أو شهرةٍ، حسب الظواهر، في الحجاز في مفتتح القرن الأوّل من الهجرة. وفوق ذلك لعلّها كانت أيضاً مجهولةً منهم تماماً بأن هناك وخاصة بأرض العراق من بلاد النهرين بقعة تُسمّى كربلاء، أو نينوى، أو الغاضريّة الى غير ذلك لبُعد القطرين أولاً احدهما في الشمال الشرقي، والآخر تقريباً في الجنوب الغربي من الجزيرة العربيّة الواسعة المترامية الأطراف. ولقلة

←

عليها السلام إنما كانت عجوة ونزلت من السماء، فما نبت من أصلها كان عجوة وما كان من لقاط فهو لون، فلما خرجوا من عنده قال عباد بن كثير لابن شريح: والله ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبد الله، فقال ابن شريح: هذا الغلام يخبرك فإنه منهم – يعني ميمون – فسأله فقال ميمون: أما تعلم ما قال لك ؟ قال: لا والله، قال: إنه ضرب لك مثل نفسه فأخبرك أنه ولد من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلم رسول الله عندهم، فما جاء من عندهم فهو صواب وما جاء من عند غيرهم فهو لقاط.

الارتباط والإتصال، بل لعدم الإتصال في ذلك الوقت بين الشعوب من أقطار متباعدة. وعلى فرض بعض الإتصال لبعض الأفراد على نُدرته في بعض الأحيان ما كان ذلك سبباً أن يدعو الى إلمام أهل الحجاز حتى بشيء يسير من جغرافية العراق فكيف بهم أن يعرفوا مدنه وقراه وأريافه بصورة مفصّلة فيعرفوا كربلاء وما جاورها من القرى من بين أريافه. كما وأن اكثرهم بل مجموعهم لا زال الى اليوم يجهلون أيضاً هذه البقاع وأمثالها جهل العراقي من أهل الشمال مثلاً ببقاع الجنوب من بلاده وبالعكس.

إذن، فما كانت كربلاء، حسب الموازين، لتتمتّع بشيء من الشهرة والمعروفية عند أهل الحجاز في مستهل القرن الأوّل من الهجرة، فان كان طرق سمعهم شيءٌ عن العراق لم يطرق غير ذكر الحيرة على حافة الصحراء وذلك على الإجمال دون التفصيل. فمن الغريب والحالة هذه أن يظهر إسم كربلاء ونواحيها مرةً واحدة على مسرح التاريخ بالمدينة المنوّرة في مستهل هذا القرن، فيلعب هذا الاسم دوراً خطيراً في الأحاديث النبويّة، ويتغلغل في أعماق حياة النبي صلى الله عليه وآله وفي حياة أسرته من أهل بيت النبوة. فيظهر هذا الإسم في المجتمع الاسلامي حينذاك في النصف الثاني من السنة الرابعة من الهجرة ظهوراً ربّما لم يتح له مثله في

سالف العهد منذ أن خلقت كربلاء على أرض العراق.

يتفق ظهور هذا الاسم في المجتمع الاسلامي الأول بالمدينة بعد مولد الحسين بقليل. وقد وُلد الحسين عليه السلام بالمدينة لخمس من شعبان سنة الرابعة من الهجرة[1]. ومنذ أن وُلد الحسين وُلد معه ذكر كربلاء في الاسلام لازمه وترعرع معه منذ نعومة أظفاره ملازمة الظل للجسم أو القرين لقرينه، فلم يقابله جدّه إلاّ ويتذكّر كربلاء، ومصرع ولده فتخنقه العبرة، ولم تشمله الأم بالعطف إلا وتتمثّل أمامها كربلاء فتنهال من عينيها الدموع، ولم ينحنِ عليه الأب إلاّ ويتمثله قتيلاً بكربلاء فيتغيّر لونه، ولا يراه أحد إلاّ ويعلم إن لأم سلمة قارورة فيها من تراب كربلاء. فأحاط به اسم كربلاء منذ صباه بإطارٍ من الكرب إحاطة الهالة بالقمر مُدّخراً له البلاء منها لأخريات حياته، فاصبح اسم كربلاء والحسين مترادفين متقابلين لا ينفك احدهما عن الآخر منذ ان وُلد وهكذا أصبحت كربلاء معروفة ومشهورة في الاسلام، فصارت حديث الخاص والعام بالمدينة، لأن الوحي كان يأتي كل يوم بتفاصيل جديدة عن كربلاء ومقتله فيها.

وشاءت الأقدار ان تصادف ولادة الحسين بين عامين من أشد

---

(١) المناقب: لابن شهر آشوب، المجلد الثاني، ص١٩٩، طبع ايران ١٣١٦هـ.

الاعوام هولاً وفزعاً على المسلمين، بين غزوة أحد في أواخر العام الثالث[١] وبين حرب الأحزاب في العام الخامس من الهجرة[٢]، وهي سنين فزعٍ للمسلمين وقلقٍ لبيت النبوة الطاهر حين كان مصير الاسلام كالسفينة على بحرٍ هائج من دمائي الامويّين ومؤامراتهم يُؤلّب صخر بن حرب قريشاً في كل يوم على محاربة النبي لثأر قتلاهم ببدر. وكانت الخسارة عظيمة في أُحد لسبعمائة مسلم كان يقابلهم ثلاثة الاف من المشركين على رأسهم أبو سفيان زعيم الأمويّين ورأس الكفر، ثم عكرمة بن أبي جهل وخالد بن الوليد، ومن ورائهم هند بنت عُتبة. وفيها وقع النبي صلى الله عليه وآله في حفرةٍ حفرها أبو عامر الراهب قبل المعركة فكاد أن يُقضى عليه فأصيب بجراح في بدنه ورأسه الشريف وكُسرت ثناياه، وُقتل حمزة عم النبي وثلاثة وسبعون واحداً من المسلمين. فتأتي هند الى ساحة المعركة فتبقر بطن حمزة سيد الشهداء فتخرج كبده فتقطعه بأسنانها لتأكله[٣]، ثم تتخذ مما قطعت من كبد حمزة

---

(١) الطبري: ج٣/ ص١١.

(٢) الطبري: ج٣/ ص٤٣.

(٣) ولذلك سمي معاوية بن أبي سفيان بـ "ابن أكلة الاكباد" اشارة الى ما فعلته امه هند بجثة حمزة عم النبي يوم احد من شق بطنه واستخراج كبده وتقطيعه بأسنانها وأكله كبده.

أساور ومعاضد وخلاخل وتعطي وحشياً قاتل حمزة حلياً كان عليها وكل ذلك شماتاً بحمزة لأنه كان قد قتل أباها عتبة في بدر[١]. فيا لهول تلك الأعوام على العالم الاسلامي من كيد الأمويين فيرجع المشركون الى مكة تخفق عليهم راية النصر، ويرجع المسلمون الى المدينة يصحبهم الهلع والفزع وتستقبلهم مشاكل جديدة مع اعدائهم الداخليّين من منافقين ويهود.

وبذلك يُقاس حال المسلمين لا سيما بيت النبوة وما كان يحيط بهم من فزعٍ وخوف من دسائس الأمويّين واعتداءاتهم المستمرة في أواخر السنة الثالثة التي سبقت مولد الحسين بأشهر. ولعل مبدأ تكوينه أيضاً يرجع الى زمن تلك الأهوال التي خلفّتها الوقعة في المجتمع الاسلامي الناشئ وما تركته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المصاعب الداخليّة مع اليهود والمنافقين بالمدينة. فكأن نقطة وجود الحسين في تلك السنين السُود إبتدأت بين الدم والحديد لتنطفئ جذوة حياته بينهما في ساحة كربلاء على يد أحفاد من كانوا يثيرونها حرباً على جدّه وعلى الاسلام يوم تكوينه ويوم ولادته فنموّه. ولم تقل أهوال حرب الخندق

(١) النزاع والتخاصم للمقريزي، ص٢٦، طبع مصر. ولهذا السبب يقال لمعاوية ابن أكلة الأكباد، لان هند أمه.

عمّا سبقها بأحد، يوم هيّج أبو سفيان القبائل وجاء في عشرة آلاف مقاتل يحارب المسلمين فحاصروا المدينة ما يقارب السنة والمنافقون في داخل المدينة يبثون الدعاية ويثبطون العزائم بأن " ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً ". وكان عمر الحسين في حرب الخندق أكثر من سنة.

ولما وُلد الحسين جيء به الى جدّه فسرّ به وإستبشر وسمّاه حسيناً مشتّقاً إسمه من إسم أخيه الحسن. وهما إسمان من أسماء أهل الجنّة لم يكونا في الجاهلية[١]، وكان الرسول صلى الله عليه وآله متعلقاً بحب ولديه لحبّه الشديد أولاً بابنته فاطمة، ولأن بهما كانت قد إنحصرت ذريته فما كان يهون عليه ما يؤذيهما، فكان يضحك لضحكها ويغضب لغضبها. فقد جاءت أم الفضل زوجة العباس يوماً بالحسين اليه، فوضعته في حجره، فبينما هو يقبّله بال الصبي فقطرت من بوله قطرة على ثوب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) فقَرصَته فبكى. فقال لها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مغضب: مهلاً يا أم الفضل، فهذا ثوبي يُغسل، وقد أوجعتِ إبني[٢]. وقد خرج النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مرّة من بيت عائشة فمرّ على بيت فاطمة فسمع الحسين يبكي فقال: ألم تعلمي

(١) أعيان الشيعة: ج٤ /ص٩٣ نقلاً عن " أُسد الغابة " عن عمران بن سليمان.

(٢) اللهوف للسيد بن طاووس، ص١٢ نقلاً عن " الطبقات ".

أن بكائه يؤذيني[(١)]. ورآه مرة يلعب مع الصبيان في السكّة، فاستقبله أمام القوم، فبسط إحدى يديه، فطفق الصبّي يفرّ مرةً من هاهنا ومرةً من هاهنا ورسول الله يضاحكه ثم اخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى على فأس رأسه وأقنعه (أي رفعه) فقبّله وقال: انا من حسين وحسينٌ مني، أحب الله من أحبّ حسيناً، حسينٌ سبط من الاسباط [(٢)]. وكان يحمل الحسين وهو يقول: اللّهم أني أُحبّه فاحبّه[(٣)]. وكان(صلى الله عليه وآله وسلم) يخطب على المنبر إذ خرج الحسين فوطئ في ثوبه فسقط فبكى فنزل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عن المنبر فضمّه اليه وقال: قاتل الله الشيطان، ان الولد لفتنة، والذي نفسي بيده ما دريت اني نزلت عن منبري[(٤)].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب، المجلد الثاني، ص١٩٥، طبع ايران ١٣١٦ نقلاً عن " الفضائل " لابي السعادات. و" أعيان الشيعة " ج٤/ ص١٠١.

(٢) المصدر نفسه، نقلا عن " الفائق " للزمخشري، و" السنن " لابن ماجه. و" اعيان الشيعة " ج٤/ ص١٠١ نقلاً عن " المستدرك " للحاكم، وعن " الارشاد " للمفيد. و" كامل الزيارة " لابن قولويه، ص٥٢.

(٣) اعيان الشيعة: ج٤/ص ١٠١ عن " المستدرك " للحاكم عن أبي هريرة.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب، المجلد الثاني، ص١٩٥ عن ابن عمر. و" اعيان الشيعة " ج٤/ ص١٠١.

فهل من المنتظر بعد ذلك كله أن لا يسير المسلمون على سنة نبيّهم؟ وقد نبت لحم الحسين من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودمه من دمه، إذ أنه لم يرضع من فاطمة عليها السلام، ولا من أُنثى. فقد كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين أو الثلاثة، فنبت لحمه من لحم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودمه من دمه[١]. أو أنه عليه الصلاة كان يلقم الحسين لسانه فيمصّه فيجتزئ به ولم يرتضع من أنثى[٢]. والسبب في ذلك أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت قد إعتلّت عندما ولدت الحسين وجف لبنها. فطلب رسول الله صلى الله عليه وآله مرضعةً فلم يجد، فكان يأتيه هو عليه الصلاة فيلقمه إبهامه فيمصّه، ويجعل الله في إبهام رسوله رزقاً يغذّيه، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة فانبت الله لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٣].

وفاق هذا الحب كل حبٍّ بنوعه ومداه فكان في جوهره حباً بشرياً

(١) أعيان الشيعة: ج٤/ص٩٤ نقلاً عن الكليني في " الكافي " وعن ابن شهر آشوب في " المناقب " بسندهما عن الصادق عليه السلام وفي " كامل الزيارة " لابن قولويه، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ج٤/ص ٩٤-٩٥ عن الكليني بسنده عن الرضا عليه السلام.

(٣) المصدر نفسه: ج٤ /ص٩٥ عن " المناقب " لابن شهر آشوب.

ممزوجاً بعنصرٍ الهي يستمدّه من السماء. فكلّما كانت تشتدّ علقته بالحسين كلّما كانت تزداد مخاوفه على ولده، لا سيما في تلك السنين السود بين حربيّ أحد والأحزاب، فقد بلغ منه التأثر على ولده ومستقبله مبلغ حبّه له بل أشدّ واكثر حتى أصبح ما يُطيق أن يسمع بكائه أو يرى أذاه ولو بأقل شيء، فصار يُردد القول ليسمعه القاصي والداني: "حسينٌ مني وأنا من حسين" لعله يقيه بهذه الحصانة السماوية كيد الأمة وشر الاعداء. فقد بدأت مخاوفه على الحسين على ما يحدّثنا التاريخ، من حين أن وُلد، فلما وضع المولود في حجره أخذ يبكي صلى الله عليه وآله، فسألته أم الفضل برواية أو أسماء برواية أخرى: ممّ بكاؤك يا رسول الله؟ فقال: على إبني هذا، فقد أتاني جبرئيل فاخبرني ان أمتي تقتل ولدي هذا، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة(١).

لِمَ كل هذه المخاوف على الحسين منذ ولادته؟ ولماذا يُقتل ولده وفلذة كبده؟ من يقتله؟ وأين يقتل؟

فكان يتصدع قلب الرجل النبيّ وتهتزّ فرائصه هزّاً عنيفاً كلما كان يتذكر ما سيحل بأهل بيته من مصائب عظيمة من بعده. فكان يستنجد

---

(١) اللهوف للسيد بن طاووس: ص١٣، طبع ايران ١٣٢١هـ نقلاً عن "الطبقات" وبحار الانوار: ج١٠/ ص٦٨ طبع ايران ١٣٠٢هـ.

إذ ذاك بالوحي، ويستمطر السماء آيات بيّنات من القرآن في أهل بيته وحقوقهم على الأمّة. فتارةً تنزل بحقهم آية التطهير عن الأدران والأرجاس وعن سويّة الناس، فيتلو عليهم: " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً " لعله بذلك يرفع من شأنهم ويجعلهم في مصاف الابرار والمقربين، بعيدين عن الخلق منزهّين عن مجانسة القوم. ثم تراه لا يكتفي بهذا الوسام السماوي الرفيع لأهل بيته من التطهير والتنزيه لهم، لعلمه بأن القوم، وهو يعرفهم حق المعرفة، سوف لا يأخذون به ولا يعتبرونه فيضربون به عرض الحائط، فإذ ذاك يلتفت الى الناحية المادية المحسوسة من الأمور لعلّه يؤثّر عليهم من هذه الناحية ليضرب بها على الوتر الحسّاس من القوم، والعرب معروفون بالكرم والوفاء، فيوجّه انظارهم الى ما تصدّع به من أمور جليلة، وقام نحوهم من خدماتٍ عظيمة فجمع شملهم بعد التفرّق، ووحّد كلمتهم بعد التشتّت، وكون منهم قوة ذلّل لهم الصعاب واخضع لهم التيجان والرقاب. يوجّه أنظارهم الى ذلك كله فيقول لهم بأنّه لا يطلب منهم على هذه النعمة جزاءً ولا شكوراً، وإنّما يطلب منهم شيئاً واحداً ان لا يهدموا هذا البناء الشامخ ويهدّوا هذا الصرح المشيّد لهاشم وبنيه وهو يتلوا عليهم كلام الله العزيز " قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودّة في

القربى" فيطلب منهم أن يحسنوا المعاملة فقط مع أهل بيته من بعده لأن كربلاء وما يسبقها من أهوال أو يصحبها من أجرام وآثام كان يصوّر أمام عينيه ذلك المستقبل الرهيب للإسلام مع ذلك كلّه، تبقى تلك المخاوف على أهل بيته، ترفرف من حوله وتلازمه ملازمة الظل للجسم، لأنه لعلمه يعلم علم اليقين ما تخبئه لهم الأيّام عاجلاً وآجلاً على يد من يتظاهرون بالإسلام فكان يأتي بالتوصية تلو التوصية بحق الآل والعترة (١).

يريد أن يجعلهم في حصن حصين من طوارئ الزمن وعاديات الأيام من ناحية أفراد معلومين. – فكلما كان يرى سبطيه الحسن والحسين يقول: يا قوم هذان ولداي سيدّا شباب أهل الجنة. ثم لا يكتفي بذلك فيؤكد على القوم مرةً بعد أخرى بأن الإمامة التي هي تلو النبوة هي فيهما ولهما فيقول: يا قوم! هذان ولداي إمامان إن قاما أو قعدا. وقال إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا (الصواعق ١١٤ أخرجه

---

(١) أليس من الغريب أن البعض ممن يدعون العلم والفضل أمثال النشاشيي لم يعرفوا المقصود من الآل والعترة في الأحاديث النبوية الشريفة حتى ولم يتوصلوا الى إدراك معناهما في اللغة العربية ايضاً مما هو أنكى وأتعس كما يدل عليه أقوال النشاشيبي في كتابه الذي سماه هو بـ " الاسلام الصحيح " وهذا الكتاب هو فلتة من فلتات بعض الكتّاب المعاصرين في مصر وفلسطين.

الترمذي عن ابن عمر – وذخائر العقبى ١٢٤). وقال: هذان ابناي وابنا إبنتي اللّهم إني أحبّهما فأحبّهما وأحب من يحبّهما(الصواعق ١١٤ أخرجه الترمذي عن إسامة بن زيد – وذخائر العقبى ١٢١). وقال: إني إحبهما فأحبوهما ايها الناس الولد مبخلة مجبنة مجهله (ذخائر العقبى ١٢٣ اخرجه احمد والدولابي). وقال: من أحب الحسن والحسين فقد أحبّني ومن أبغضهما فقد أبغضني (الصواعق ١١٥ أخرجه أحمد وإبن ماجه والحاكم)، ثم تراه لا يقف عند هذا الحد لما يعرفه من سرائر القوم وخفايا قلوبهم وضمائرهم فيقرن حبّهما بحبّه وبغضهما ببغضه ليكونا بمأمنٍ – ثم يؤكد ذلك بما لمحبهم من المثوبة عند الله. ومن الدرجة يوم القيامة فيقول لهم " من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. وكان معي في الجنة " (اخرجه احمد والترمذي الذخائر ١٢٣). وقال حسين مني وأنا منه أحب الله من احب حسيناً. الحسن والحسين سبطان من الأسباط (أخرجه البخاري والترمذي وابن ماجه. الصواعق ١١٤).

فكان الرسول الأكرم بعد هذا كله يتوجّه نحو القوم ويكشف لهم عن هذه الحقيقة ولذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم على ملأٍ من المسلمين يخاطب القوم في سبطيه بأنهما أكمل مثالاً وأعلى تربيةً للتعاليم

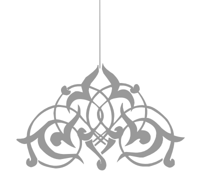
الإسلامية الجديدة وهو يقول: هذان ولداي سيّدا شباب الجنة. وهي تلك الحياة الأبدية الخالدة للمتقين، والشاب في هذا المورد ليس شباب العمر وانما هو الشاب في المبدأ والعقيدة واعتناق العقيدة الحقة وإن كان المرء طاعناً في السن. فكانت تنبثق هذه الأحاديث عن وحي سماوي، وتنبعث عن معرفةٍ عريقة لطبائع الأفراد وأطوارها فكلما كانت تتجسم له قضايا كربلاء والأمور التي تهيء الجو لها. وكان عليه الصلاة والسلام يبث هذه الاحاديث في المسجد وغير المسجد بين كافة طبقات المسلمين ليجعل العترة في حصن حصين من عاديات الزمن وتطورات الأيام ليكون حقهم السماوي ثابتاً مصوناً من بعده تلك الحقوق التي أوجبها الله على عباده لتلك الصفوة المنتجبة، وتلك النخبة المختارة من المؤمنين.

وحديث هذا الحب المفروض على المسلمين للسبطين والتجنب من بغضهما لم يكن من ناحية صاحب الرسالة لمحض استعطاف القوم على ولديه او استمالتهم كما يود كل أب أن يكون ابنه محبوباً من الناس دون أن يكون لذلك اساس قوي في التشريع الالهي.

فكان صلى الله عليه وآله وسلم ما يترك مناسبة لم يعلن فيها عن مثل هذه المنزلة لأبويهما عليٍ وفاطمة عليهما السلام عند الله تعالى وعنده. فلو كان القصد من ذلك بيان فضائل عليٌ ومنزلته في الاسلام

وعند الله تعالى، ولكن من يستطيع القول بان مثل هذه الاحاديث في تنزيهه وتشريفه ما كانت لتحرك ضغائن من كانوا يحسدونه عليه فكانت هي مما هيئ الجو لقضايا كربلاء المؤلمة واهوالها في الاسلام ومع ذلك فانه ليس على الرسول الا البلاغ.

إذن فلماذا إزيحوا عن حقهم ولم يراعوا فيهم التشريع والتنزيل والنظام العام.



كربلاء قبل الاسلام في العصور القديمة

يكاد لا يوجد في الكتب عن تاريخ كربلاء في عصورها القديمة التي تسبق ظهور الاسلام بقرون إلا الشيء الطفيف والنزر القليل الذي لا يشفي الغليل وذلك مما لا يكشف عن ناحية من نواحي حياتها الماضية إلا ناحية واحدة هي الناحية الدينية التي نعرف بها إن بقعة كربلاء كانت مقدسة مباركة عند الأمم السالفة منذ عهدها القديم قبل أن تكتسب تقديسها الحاضر في العصر الاسلامي بدفن الحسين عليه السلام فيها.

والمصادر التي تكشف لنا هذه الناحية من تاريخها القديم هي عموماً على قسمين:

اولاً– المصادر التاريخية، وهذه إمّا من نوع الآثار والاكتشافات الأثرية في تاريخ الحضارات القديمة البائدة أو قواعد اشتقاق الفاظها ولغاتها. وإما من نوع المصادر الاجنبية التي تبحث في شؤونٍ فيها بعض

الإشارة الى تاريخ هذه الربوع بصورة إجمالية.

ثانياً – المصادر الاسلامية، وهي بالطبع مصادر دينية، ولكن يؤخذ بها بنظر الاعتبار في التاريخ لسببين رئيسيين: الأول لكونها وردت في العصر الاسلامي الأول وهو عصر أقرب الى التاريخ القديم من عصرنا هذا بثلاثة عشر قرن، ولعل المعلومات التاريخية عن القديم في ذلك العصر كانت بأكثر مما وصلتنا إمّا بواسطة التدوين والنشر، وإمّا بواسطة الضياع. والثاني لكون ناقليها ثقات باتفاق المسلمين لم يرووها عبثاً لأنهم أئمة الدين من آل بيت الرسالة. فمنها ما ورد عن علي أمير المؤمنين ومنها ما ورد عن الصادق عليه السلام أو غيرهم من الائمة.

وهذه الروايات وإن كانت إسلامية وردت عن طريق الدين من ناحية، وثم متأخرة عن أدوار تاريخ العصور القديمة من ناحية أخرى، ولكن لابدّ للباحث في تاريخ كربلاء القديم من الأخذ بها لمعالجة مثل هذا الموضوع الذي يكاد لا يوجد عنه أي نصّ في التاريخ القديم الذي لا وجود له.

خضعت هذه البقاع في فجر التاريخ للأقوام السومرية التي شقّت طريقها من الشمال الشرقي الى سهل "شنعار" في جنوب العراق. وكان سهل شنعار كما كان يسمى قديما يمتد على ضفتي الفرات الى دجلة من

أعالي بغداد الى الخليج، وكان الخليج متقدماً في الجنوب فكانت تقع عليه أور الناصرية الحالية يوم كانت أراضي البصرة والمنتفك الحاليتين لازالت مغمورة بمياه البحر فلم تظهر بعد على اليابسة. فأسس السومريون حضارتهم في جنوب هذا السهل وإمتد نفوذهم بالتدريج الى الشمال منه فدخلت كربلاء وما جاورها من طفّ الفرات الاوسط بالطبع تحت الحكم السومري. ولجودة أرضها وخصب تربتها تقدمت عمرانياً في هذا العهد السحيق لما إمتاز به السومريون من الإتقان في أنظمة الري والزراعة بحفر الترع والجداول وتسليط المياه على المزارع والحقول. حتى اذا ما تدفقت على العراق في الألف الرابع قبل الميلاد موجةً ساميّة وهي أول موجةٍ ساميّة في هذا الإتجاه قذفت من الجزيرة العربية بالقبائل الأكدية من العنصر السامي الى القسم الشمالي من سهل شنعار، فاستوطنوا هذه البقاع الواقعة ما بين بغداد والديوانية الحالية. والأكديون وان كانوا بطبيعتهم بدواً رعاة إلا أن إتصالهم واحتكاكهم بالسومريّين دربهم شيئاً فشيء على إقتباس الحضارة الزراعية منهم. فزاد على عهدهم إنتعاش هذه الجهات ومنها كربلاء التي كانت تقع على حدود البادية فكانت بطبيعة وضعيتها الجغرافية بمثابة همزة وصلٍ بين المناطق الزراعية والمناطق البدوية، بين حياة الريف وبين حياة بدو الرعاة الذين

ما كانوا يستغنون عن التموّن من اسواقها في مختلف المواسم.

ويظهر من القرائن أن تسمية كربلاء بهذا الإسم السامي الأصل في تلك العصور الغابرة ما هي إلا مُنح هذا العهد السامي الأول الذي وُجدت في العراق على خطٍ مستقيم من الشمال الى الجنوب مُدن سُميت باسم الآلهة أو أضيفت أسماؤها إلى إسم الإله حين سُمّيت العاصمة في العصر الأول ببابل المنحوتة عن " باب إيلو " أي " باب الإله " لوجود هيكل هناك كان يجلس على بابه رجال الدين للنظر في دعاوى الناس وخصوماتهم فعُرفت المدينة بهذا الاسم أي باب الإله. أو مثل إربيل الحالية المنحوتة بالأصل من كلمة " إربا إيلو " أي الآلهة الأربع التي عُرفت المدينة بها.

ومثلهما كربلاء فقد كانت هي بقعة مقدسة قديماً وكان بها معبد للإله فسُمّيت بـ " حرب إيلا " أي محراب الإله أو حرم الله، فعمل فيها التصحيف فقُلبت الحاء كافاً فأصبحت تلفظ كربيلا ثم كربلاء كما هي اليوم.

فكانت كربلاء حرماً وبيتاً [١] لله في الشمال الشرقي من الجزيرة العربية كما إحتلّت الكعبة لها فيما بعد مثل هذه المكانة السامية في

(١) مزار البحار: ص١٤٠.

الجنوب الغربي من الجزيرة مذ أن رفع فيها ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل بعد أن هاجر هو وأهله من بلاد بابل سالكاً طريق الفرات الى بلاد الآراميين ثم الى مصر ثم عروجه الى مكّة حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد. ولعل الحرم الآمن إتّخذه القوم محلاً للأصنام في تلك العصور التي كانت تطغى الوثنية فيها على عبادة الواحد القهّار، شأنها في ذلك شأن الكعبة في عصر الجاهلية بالحجاز كانت بيت الله الحرام واتخذها القوم محلاً لأصنامهم من اللات ومناة والعُزّى وهبل وقد أتوا بهذا الأخير وهو كبير الهتهم من طفّ الفرات الى الكعبة إلى أن ظهر الاسلام فكان فتح مكّة في السنة الثامنة من الهجرة فطهّر النبي عليه السلام مع علي البيت من رجس أصنام مشركي قريش.

لم تكن كربلاء كما أسلفنا حرماً آمناً وبيتاً من بيوت الله فحسب[1]، بل وكانت في نفس الوقت مهبط الوحي، ومهد الأنبياء والرُسل، وأرض الله المختارة تزخر بالأولياء والأوصياء في تلك الأزمنة الغابرة، فمن كربلاء – على ما يظهر– كانت تشع أنوار الدعوة

(١) ورد هذا التعبير بان كربلاء كانت بيتاً من بيوت الله في خطبة لفاطمة بنت الحسين في الكوفة حيث تقول: "... كما قتل ولده (أي الحسين) في بيت من بيوت الله – راجع في ذلك " البحار ": ج ١٠ /ص ٢١٩ وكذلك " اللهوف " للسيد بن طاووس: ص١٣٣.

السماوية الى الأمم والشعوب ضد الوثنية وعبادة الاصنام الطاغية على العقول عند الأمم القديمة فكانت كربلاء هي التي تُنير أرجاء العالم في هذا المعترك العظيم بين الشرك والتوحيد. وقد جاء الدين الإسلامي بأخبار حافلة عن كربلاء من هذه الناحية في تلك العصور المُظلمة. فقد وردت بهذا الصدد عن أئمة الدين روايات كثيرة تشير الى ما كانت تحف كربلاء من قدسية ومكانة عظيمة في تاريخها القديم، فجاءت بعضها معبّرة عنها بإسم الغاضرية لقربهما وتداخلهما، فمنها ما ورد عن السجّاد علي بن الحسين عليهما السلام: " ان الله إتّخذ أرض كربلاء، حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرماً "(١). ومثلها ما ورد عن الباقر عليه السلام بأن الله خلق أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة. وقدّسها وبارك عليها، فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسةً مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرضٍ في الجنّة (٢). وورد عنه أيضاً انها كانت مهبط الوحي ومهد الانبياء فقال عليه السلام: الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران عليه السلام، وناجى نوحاً فيها، وهي اكرم أرض الله عليه، ولولا ذلك ما استودع الله فيها أوليائه

---

(٢) كامل الزيارة لإبن قولويه: ص٢٦٨ و" مزار البحار: ص١٤٠و" خصائص الحسين " للشيخ جعفر التستري: ص١٩٥ طبع ايران١٣٠٦

(٢) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٦٨.

وانبيائه [١].

ومثل ذلك في شرف المكان والقدسية بأن تربتها من تربة بيت المقدس ما ورد عن الصادق عليه السلام معبراً عن كربلاء بإسم الغاضرية ايضاً " الغاضرية تربة من تربة بيت المقدس"[٢]. كأنه يريد بذلك عدم الفرق بينهما من حيث القدسية. كما وفي رواية أخرى رواها الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء فيها ان كربلاء كانت " قبة الاسلام " حيث نجّا المؤمنون ونوح في الطوفان فقال عليه الصلاة: " يُقبر إبني بإرضٍ يقال لها كربلاء، هي البقعة التي كانت فيها قبة الاسلام التي نجّا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان"[٣].

وتأتي روايات أخرى تؤيّد ما سبق بأن كربلاء في القديم كانت مهداً للأنبياء والأوصياء السالفين وفيها كان النضال بين الشرك والتوحيد وذلك ما ورد عن الصادق عليه السلام انه قال:

" خرج أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام يسير بالناس حتى اذا كان

(١) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٦٩ و" مزار البحار " ص١٤٠.

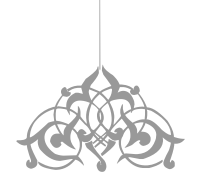
(٢) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٦٩ و" مزار البحار " ص١٤٠.

(٣) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٦٩ و" مزار البحار " ص١٤٠.

من كربلاء على مسيرة ميل أو ميلين تقدّم بين أيديهم حتى صار بمصارع الشهداء[١] ثم قال: " قُبض فيها مائتا نبيّ، ومائتا وصي، ومائتا سبط كلهم شهداء بأتباعهم. فطاف بها على بغلته خارجاً رجله من الركاب فأنشأ يقول: مناخ ركاب ومصارع شهداء لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من أتى بعدهم "[٢].

(١) أي نفس الموضع الذي صرعوا فيه شهداء الطف فيما بعد.

(٢) كامل الزيارة لابن قولويه: ص٢٧٠– ومزار البحار: ص١٤٣.



كربلاء ومبدأ ظهور تاريخها في الإسلام

إن تاريخ كربلاء ومبدأ ظهورها في الإسلام يبدأ في الحقيقة من صباح يوم الخميس الثاني من محرم عام ٦١ من الهجرة المصادف، حسب الظاهر، ليوم الثاني من تشرين الأول سنة ٦٨٠ من الميلاد[١].

---

(١) ويتحدّد ذلك من أقوال المؤرخين ومنهم ابن واضح في الصفحة ٢١٨ من الجزء الثاني من كتابه" تاريخ اليعقوبي" طبع النجف ١٣٥٨هـ وهو يحدّد يوم مقتله عليه السلام بالتاريخ الشمسي بقوله: وكان مقتله لعشر ليالٍ خلون من المحرم سنة ٦١ واختلفوا في اليوم فقالوا يوم السبت، وقالوا يوم الاثنين، وقالوا يوم الجمعة، وكان من شهور العجم في تشرين الاول، وقال الخوارزمي: وكانت الشمس يومئذٍ في الميزان سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة. والقمر في الدلو عشرين درجة وعشرين دقيقة. وزحل في السرطان تسعاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة. والمشتري في الجدي إثنتى عشرة درجة واربعين دقيقة. والزهرة في السنبلة خمس درجات وخمسين دقيقة. وعطارد في الميزان خمس درجة واربعين دقيقة. والرأس في الجوزاء درجةً وخمساً وأربعين دقيقة.

←

وذلك حين عرج الى هذه البقعة ركب الحسين عليه السلام بعد أن جعجع به الحر بن زياد الرياحي بأمر من ابن زياد فحال بينه وبين أي وجهةٍ أخرى من أرض الله الواسعة. فيبدأ تاريخها من ذلك الحين، إذ أن كربلاء من ذلك الحين فقط ظهرت على مسرح التاريخ وبرز ذكرها بين البلاد في الآفاق فاقترن تاريخها بتاريخ الإسلام كله. فكان لها منذ ذلك الوقت مثل ما لها اليوم من أثرٍ بعيد، ومن الشأن والمنزلة، والتنويه والتخليد في تاريخ البشرية كلّها.

وهذا لأمر واضح جلي، وقد بدأنا بادئ ذي بدء على هذه الخطّة في دراسة معالمها، وسلكنا هذا المسلك في وضع الخطط لتاريخها فبدأنا بتدوين أحوالها وشؤونها العامة من وقعة الطّف الفجيعة كما جرت عليه العادة المألوفة والسيرة المتّبعة لدى الرواة والمؤرخين من أصحاب السير والمقاتل، وكدنا أن نحذو حذوهم في هذا السبيل، ونتبع في تاريخها تلك الطريقة التقليدية، غير أن نظرةً سريعة على حوادث التاريخ الاسلامي في العصر الأول لاسيما على عهد صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله

واما ما ذكره اليعقوبي من الاختلاف في اليوم فأشهر الاقوال هو يوم الجمعة ويكاد ان يكون هو المتفق عليه، لان كل من ذكر يوم نزول الحسين عليه السلام كربلاء قال انه كان في يوم الخميس الثاني من المحرم فيكون يوم العاشر منه الجمعة.

وسلم، وعلى الأحاديث المأثورة عنه في القسم الأخير من حياته الشريفة صلى الله عليه وآله وسلم كانت كفيلة بأن تثبت لنا خلاف هذا الأمر وتدل دلالةً كاملة على ان كربلاء وذكرها كانا قد ظهرا على مسرح التاريخ ولعبا دوراً مهماً في الاسلام لا فقط من حين وقعة الطّف وانّما من أوائل القرن الأول من الهجرة لا سيما في حياة صاحب الرسالة نفسه وفي حياة أهل بيته الطاهر بالمدينة المنوّرة بزمنٍ بعيد قبل وقعة الطف. الأمر الذي يتّضح منه ان المبادئ الأولى من هذا التاريخ وعناصره تبدأ مع القرن الأول من الهجرة، أو بعبارةٍ أتّم، من اواسط السنة الرابعة من الهجرة حين ولد الحسين عليه السلام في شهر شعبان من تلك السنة وكانت ولادته تحف بها أهوال حربي أُحد والخندق السابقة واللاحقة.

وهذا الأمر مما يستدعي العناية التامة من ناحية تاريخ كربلاء. إذ أن بهذا الاعتبار يجب أن يكون مبدأ تاريخها في الإسلام كما سنبحث عنه مفصلاً في الفصول القادمة، لا من حدوث وقعة الطف كما جرت عليه العادة، وإنّما من حين ورود إسم هذه المدينة وشيوع ذكرها في الأحاديث النبوية وبين طبقات الأمّة من الصحابة وغيرهم في مستهل القرن الأول من الهجرة حين إقترن ظهور إسمها بميلاد الحسين في التاريخ فصار يلعب هذا الإسم ذلك الدور المهم في الوحي والتنزيل والتشريع

والحديث، وما كان بين أبناء الحجاز إذ ذاك من يعرف بالتحقيق شيئاً عن وادي الرافدين فكيف بهم ان يعرفوا كربلاء ولم تكن كربلاء يومئذٍ غير قريةٍ خاملة الذكر والشأن بين قرى الطف الكثيرة.

وبالنظر لما تقدّم رأينا من الواجب ان لا نتغافل عن هذه الناحية المهمّة من تاريخ هذا البلد الاسلامي المقدس وما كان لها من التأثير الفعلي القوي في المجتمع الإسلامي الأول في تلك الحقبة الطويلة من القرن الأول الهجري قبل حدوث وقعة الطف بزمنٍ بعيد، وحتى قبل فتح العراق بسنين عديدة، بل وحتى قبل إنضواء العصابة الأموية تحت لواء الاسلام وكانت يومئذٍ لاتزال تحارب النبي وتقاوم الدعوة الاسلامية بكل قوة قبل ان تنخذل فتتظاهر بالإسلام خوفاً ثم تساعدها الظروف المؤاتية تدريجياً فتستولي على سلطان محمد وعلى شريعة السماء فتكون من جراءها كربلاء وما إقترفته تلك العصابة الطاغية على ساحتها من آثامٍ وإجرام ضد الاسلام وضد آل بيت نبيهم الطاهر.

وبناءً على ما تقدم فان هذه الناحية المهمّة من تاريخ كربلاء كانت تستدعي العناية والإهتمام الى درجة ما كان يمكن إهمالها أو التغافل عنها لمن يريد أن يُعطي صورةً كاملةً واسعة عن شؤون كربلاء وتاريخها في الماضي والحاضر لما في تلك الناحية من هذا التاريخ من الأسرار الغيبية في

الدين تكشف للباحث المتتبع عن غوامض خارقة توجب التأمل والتفكير في اسرار الدين الإسلامي. فكان لزاماً علينا والحالة هذه أن نرتدّ بدراسة هذا التاريخ الى أوائل القرن الأول حين ورد ذكر كربلاء والإخبار بقتل الحسين عليه السلام فيها في الأحاديث النبوية بصورةٍ متواترة من بعد ولادته، وما كان لذلك من التأثير الفعلي على المجتمع الاسلامي الأول.

ولّما أن سرنا على هذه الخطّة في وضعنا لتاريخ كربلاء وحللّنا الحوادث والاخبار المتقدّمة تحليلاً علمياً بحيث أصبح هذا التاريخ وهو يقترن تقريباً تمام الإقتران بمبدأ الهجرة صرنا نجابه قضية أخرى وجوب دراسة التاريخ في أي موضوع كان بصورةٍ أوفى وأكمل، فرأينا أنّ هذا التاريخ لهذه المدينة المقدسة العظيمة مهما عولج موضوعه، أو بولغ في إستقصاء اخباره وحوادثه، وتنسيق أبوابه أو تنميقها قد لا يتم ما لم تتصل سلسلة حلقات بعضه ببعض فيبقى النقص ظاهراً عليه، ويعلوه بعض غبار الغموض والإبهام، أو الإغفال والنسيان.

أقول هذا وأحمد الله الذي وفقني بالكتابة في تاريخ بلدتي الطيبة التي نشأت في ربوعها وتفيأت ظلالها وترعرعت في بيوتاتها العلمية، واستفدت من مدارسها الدينية وخزائن كتبها المنتشرة في أرجائها. ورأيت من المفيد ان أكتب عن تاريخ جامع لها يكون في متناول من يريد

الاطلاع على تراثها الخالد وماضيها الزاخر بالمفاخر والعلوم والفنون. ومع هذا فأني اعترف بأن كتابي لم يوف تاريخ كربلاء وحضارتها العريقة بصورة تفصيلية، لكنني ركزت جهدي في ابراز تاريخها الماضي والحاضر بدءاً من نزول امير المؤمنين بها في طريقه الى صفين وانتهاء بمبدأ ظهور تاريخها في الاسلام حتى صارت مدينة لها تاريخ حافل وما كانت عليه من التقدم في العلم والأدب والصناعة والتجارة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

المؤلف



المحتويات